المستشرقون والتنويريون

تضافر مبهم في مرحلة الغثاء نحو هدف مشترك

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
ص.ب. الجمهورية اليمنية - عدن ٧٠٠١٤

القسم الأول

المستشرقون والتنويريون

تَضَافُرٌ مُبْهَمٌ فِي مَرْحَلَةِ الغُثَاء نَحْوَ هَدَفٍ مُشْتَرَك

«قراءة معاصرة»

فرع الدراسات وخدمة التراث
رباط التربية الإسلامية ـ عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وهو مستحق الحمد على مزيد الإفضال، وأصلي وأسلم على مفتـاح النصر وإكليل النصر وسيد أهل الدنيا يوم الحشر، سيدنا محمد القائل: « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »، وعلى آله الأطهار الطيبين الأبرار، وعلى صحابته الأخيار والتـابعين لهم من مجموع الأمة عرباً وعجماً من سائر الأقطار.

وبعد فإنّ مهمتنا التي اضطلع ا فرع الدراسات وخدمة التراث في أربطة التربيـة الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية مهمةٌ نابعةٌ من سلامة القصد، وحب علم الخير، واقتناص المرحلةِ المباركة.. مرحلةِ الوحدة اليمنية.. لإثرائها بما يجب علينا نحوها ونحو وطننا الميمون وشرائحه الاجتماعية ذات العلاقة المباشرة بشـرف الإيمـان الـيمني والحكمة اليمانية عبر تسلسلها التاريخي المعطاء.

واليمن سخيةٌ معطاءةٌ على مدى تاريخها، وزاد سخاؤها وعطاؤهـا وارتباطُهـا الطوعي بالإسلام، وكانت أحد رواسخه وشوامخه، ولم تزل إن شاء اللّـه كـذلك، برغم ما تعرضت له وتتعرض له من دسائس ومحاولاتٍ داخليةٍ وخارجيـةٍ لتـهميش أدوارها وتعميق متناقضات شرائحها الاجتماعية وضربِ بعضهم ببعض، وهذه سياسةٌ صارت معلومةً من الواقع بالضرورة، ولا يختلف عليها اثنان، ولا ينكر وجودها إنس ولا جانّ.

وبدأ فرع الدراسات المشار إليه يضع قواعد وأسس خدماتِه المتواضعةِ في تحديـد خطوطِ مهماتِه العملية والبحثية، متفائلاً بتضافرِ الخيرين وحملةِ الأقـلام ومنسـوبي

مرحلتنا المعاصرة، وأ م سيبدؤون معنا إعادة ترتيب المعرفة الثقافية على أساس مـن العدل والإنصاف، وحسن الأخذ والتناول عند المقاضاة والانتصـاف. وخاصـةً أن معاولَ الهدم الاستعمارية وما تلاها قد لعبت دوراً خطيراً في الواقع المحلي وتفكيـك أواصره وتشكيك عناصره، تحت مرسوم المشروع العالمي الناجح «فرق تسد».

وحري بنا أن نلأم هذا الجرح ونعيد هويتنا المفقودة من خلال مساهمتنا الكتابيـة والبحثية في مجالات ترشيد التراتب الاجتماعي وتعليل الظواهر، ونغلق ملفات العرض الأنثُروبولوجي السلبي القائم على الدراسات الاستشراقية المغرِضة، ليحل محله دراسات أنثروبولوجيةٌ مسلمةٌ تنطلق من واقع الأمة وصيانتها الإسلامية وتركيبها الاجتماعي، ومناصحتها لبعضها البعض.

إن سياسة الإقصاء أو البتر والانتقائية هي قرينة المعـاني الجديـدة « الوصـولية والانتهازية »، التي دخلت حدود المعرفِة الثقافية المعاصرة، وكلنا نعلم من أين جاءت وما دورها في الواقع المهزوز.

وإذا كان الخير كل الخير في البناء، فإن الشر كـل الشـر في الهـدم. والهـدم الاجتماعي أشد ضرراً ونكايةً من الهدم الاقتصادي والسياسي، ولن يكـون ضـرره مقصوراً على الشرائح المتناولة بالهدم، وإنما يتعدى ذلك إلى هدم الإسلام ذاته.

إننا لا نشك أصلاً في تدين الدعاة التنويريين وعلاقتهم بالدين الإسلامي، وإنمـا نشك في أسلوب منهجيتهم المتصلة « مرحلة ومعرفة » بالرؤية اليهودية ومؤسسـا ا، ونشك أيضا في مادة أطروحا م التعليلية والتحليلية الـتي يعـالجون ـا القضـايا ويفذلكون ا الواقع الإسلامي، وخاصة عن الصوفية والمذهبية وآل البيت.

ونجزم بيقين أن الحماس التنويري الذي طرأ على القادة والمفكرين في مرحلة الغثاء فجعل أولئك يضحون أو يفرحون بقرار الخلافة لتنتقل من الأعاجم الأتراك إلى العرب

المسلمين تحت دعاية ما وعدوا به من «الدولة العربية الكبرى» فأضاعوا بذلك الخلافة كلها وقرار الإسلام، نجزم أنه هو أيضا نفسه قد جعل أتباع المدرسة قـديما وحـديثا بتضافرهم المتنوع يحاربون المدرسة القديمة وأساليب العلم والمعرفة والفكر منها؛ كجزء لا يتجزأ من اللحمة الجديدة التي نسجتها سياسة « الكافر المدجج » لتقسيم واستثمار تركة الرجل المريض.

ولم يقف التنويريون في هذه المرحلة الشجاعة عند إعلان الحرب «ضد التتريك»، بل تعداه إلى «التحالف مع محافل ماسونية» لتكون نصير العـرب في قوميتـهم ضـد الأتراك في عنجهيتهم، وكون بعض علماء التنوير محفلاً ماسونياً.. وهـم مناصـرو التحول وقادة الفكر المضارع والمنافس لمدرسة التصوف وآل البيت.

ولن نضيع الوقت والجهد كي نفتح من جديد « عقيرة المهاترة » بين المسلمين أو بين العرب القوميين ومن معهم من التنويريين ضد المراحل السابقة.. وإنمـا نـود أن نؤكد عدم سلامة الدعوة التنويرية من الزحف الجاهل والحفز الماحـل نحـو جحـر الضب، وأن المعالجات والملاحظات التي تقيس ا الأمور حتى هذه اللحظة لا تخلو من خبط وخلط واستتباع للأعداء بعلم أو بغير علم.

إن مسألة الهجوم الباتر على « التصوف والصوفية » لا يعتبر من وجهة نظرنا الآن مؤثرا ولا مفيدا، ومثله هجوم المتصوفة على « السلفيين والحزبيين وتيارات التنوير » لا يعدو كونه دخانا وضبابا يعمي الرؤية لدى الجانبين ويفسح ا ال لآخـرين كـي يتربعوا على قلوب الأجيال.

وإنما الذي نراه وندين الله به ونطرحه على كافة القوى الخيرة في العالم تحـت أي مسمى أرادت ﴿إِن الدين عِند الله الإسلام وما اختلَف الذِين أُوتوا الكِتاب إِلاّ مِـن بعدِ ما جاءَهم العِلم بغياً بينهم ﴾.

والإسلام هدف عالمي.. والكفر هزيمة عالمية.. ومن عرف الأهداف وسلامتها عرف كيف يصل إلى الإسلام، ومن أخطأ الهدف ساهم في تحقيق الهزائم.. والهزائم هي حصيلة العمل في معسكرات الكفار والكافرين.. وكلنا اليوم نخدم الإسلام من دون أهداف، ولهذا فنحن بالتالي نحقق الهزائم في أنفسنا، ويستثمر الكافر أهداف الإسلام لمصالحه.

إن الأساليب المتبعة من القمة إلى القاعدة في معالجة الأمور تحتاج إلى إعادة نظر وإلى تحرر من ربقة «الوعي الشائك» وعي الهزيمة وأسلوبِ الاستعداء والاستعلاء.. فهذه فعلاً سياسة اليهود.. وقد دخلت إلى عالمنا الفكري خلال المعركة المعرفية بعد مرحلة الاستعمار، ومن داخلها تتشكل علاقتنا المعرفية والتحليلية، وبرهان ذلك ثمرات المطابع والأقلام التنويرية وغير التنويرية ذات الصبغة الإعلامية والجدال الكلامي، ويقودها جيل التخرج من مدرسة الاستعمار والاستهتار، الذين رسموا مخطط الانحراف ووضعوا أسس هذا التحول على شكل عمليات لا يصل إلى كشف حقائقها إلا المتأمل الحصيف، الذي يرتبط أساساً وقاعدةً بمدرسة الأسانيد والتلقي ذات التفرد المطلق عن بقية مدارس الفكر والمعرفة في العالم.

وإذا كان التأثير العالمي المنحرف شرقيا وغربيا قد طرأ على الاقتصاد وتأثر به الاقتصاديون المعاصرون وطرأ على التربية والتعليم وتأثر به المربون والمعلمون وطرأ على التاريخ ووقائعه وتأثر به المؤرخون وطرأ على السياسة وتأثر به السياسيون؛ فما بالنا لا ندرك ولا نحس أثر هيمنة الكافر ومدارسه في المسألة الدينية وانطلاقات المدرسة التنويرية التي برزت في هذه الخطة من الصراع العالمي والمحلي بحماسها المطلق تحت ظل المرحلة الاستعمارية وما تلاها من تأثر المتدين المعاصر بدعوة المدرسة التنويرية التي برزت في هذا الخضم من الصراع العالمي والمحلي.

إن مسألة الحق كمبدأ والباطل كانحراف مسألة لا يختلف عليها اثنـان؛ ولكـن المشكلة التي حلت بالأمة هي تحول العقول من مدلولات الحق وقواعـده والباطـل ومشاهده وشواهده، إلى استتباعات «غير عادلة عند الانتصاف والمحاجـة» والـزج بالأدلة والبراهين في خندق غير إسلامي بقدر ما هو خندق إعلامي يـدمر الجميـع لمصلحة المستعدي المستثمر.

وإخواننا الضحايا من حملة الأقلام لا يريدون أن يفهموا ما حل بنا و م في مرحلة الغثاء، ولربما فهموا من بعيد إذا قرؤوا لافتات وشعارات معلمي الاستعمار والاستهتار والاستثمار، وأدركوا كيف يجب أن نكون نحن المسلمين أمام هذا الطرح الكافر.

وأقول: « الطرح الكافر » لأن رغبتنا أن نطهر بعضنا البعض عن التـأثر بـه، أو الدخول في تنفيذ مشاريعه، مهما استحلّتها العقولُ واستثمرْا الأنفس المريضة، وأمـا إذا ما أبى التنويريون والصوفيون إلا ما هم فيه وعليـه مـن سياسـتي « الاسـتعلاء والاستعداء » فإنه قد أعذر من أنذر، ولابد من الإيضاح وكشف الزيف المـبطن، لا حرصا على نصرة صوفي أو خشية من استعداء سلفي، وإنما ليفهم الكافر وحـده أن في هذه الأمة من يدرك مدى خطورة اللعبة العالمية التي جند فيهـا المسـلمون ضـد بعضهم البعض خلال « مرحلة التفريغ المبرمج » لوعي المسلم ومدركاتـه الفكريـة العالمية .

إن الفكر العالمي اليهودي يضارعه في هذه البسيطة الفكر العـالمي الإسـلامي، والمفكرون العالميون لسياسة الانحراف يقولون: لقد وجهنا اهتماما كبيرا للحط مـن كرامة رجال الدين من غير اليهود في أعين الناس، وبـذلك نجحنـا في الإسـاءة إلى رسالتهم والإضرار ا، وهي التي كانت تشكل عقبة كبيرة في طريقنا. «بروتوكولات حكماء صهيون» .

ويقولون: إن نفوذ رجال الدين يتضاءل على الناس يوماً بعد يوم بفعلنا، وسنوضح للناس أن الحرية لا تدل إلا على التحلل والفساد أو على حق الناس في عمل ما يعجبهم أو ما يسرهم(١) .

وأما المفكرون الإسلاميون فهم لا يمثلون العالمية ولا يمتلكون قرارها اليوم، بقدر ما يمثلون أبواقاً إعلاميةً مرحليةً تتدرج تحت سياسة التجزئة وتنافح عن هزائمها. وإذا فقد القرار من الأمة فلابد أن تعمل على هدم كيانها بتفرقتها، وباستتباعها لمكر عدوها.

واختصارا للوقت والجهد نقدم للمستبصر منا جميعا هذه المقارنة التي تجمع أسلوبا واحدا وهدفا غائيا مشتركا.. وهي دليل أكيد على انحشار أقلام العديد من أتباع المدرسة التنويرية في « جحر الضب » كما قد انحشر فيها من قبل كثير من ضحايا غثائية المدرسة الصوفية والمذهبية.

وستكون موضوع هذا القسم « القسم الأول من هذا الكتاب » ، وأما القسم الثاني فسيصدر لاحقا إن شاء الله.

وفي هذه المقارنة من هذا القسم يلاحظ الواعي كيف تركز المدرسة الاستشراقية والمدرسة التنويرية « على هدف واحد » بوسائل مختلفة ومتنوعة للوصول إلى غاية مشتركة واستثمار اجتماعي موحد من خلال المقالات التالية:

١- مقال «الصراع السياسي والتراتب الاجتماعي بحضرموت » ترجمة عبدالله بوجرا ، من كتاب «اليمن كما يراه الآخر» ص٢٧ (٢).

---

(١) « بروتوكولات حكماء صهيون » ، راجع كتاب «اليهود تاريخ فساد وانحلال ودمار» ص٨٥ للدكتور توفيق الواعي.

(٢) كتب هذا المقال عام ١٩٦٧ م، وكان هذا المقال مترجما عن:

٢- مقال « زيارة أضرحة الأولياء في حضرموت» لألكسندر كيش ، من كتـاب «اليمن كما يراه الآخر» ص٣٧ [1] .

٣- « الكشف المبين عن حقيقة القبوريين » لحسن المعلم.

٤- « الفكر وا تمع في حضرموت » لكرامة سليمان بامومن.

وقراءة في هذه النماذج وماد ا العلمية وأساليبها الفكرية ووحـدـ ا الموضـوعية وأهدافها خلال « مرحلتنا المعاصرة » تفصح عن النوايا المبطنة لدى الفريق الإعلامـي - الواحد - سواء علم كل فريق ما يعمل صاحبه .. أو لم يعلم..

فإنْ كان عن علم فتلـك مصـيبةٌ   وإن كان عن جهلٍ فربـك أعلـم

Bujra, A., 1967 “Political conflict and Stratification in Hadramaut,” *Middle Easten Studies*, vols 3,4 .

(١) كتب هذا المقال عام ١٩٩٣ م ، وهو مترجم عن :

Kaynsh, Alexander. 1993. “The Cult of Saints in Hadramawt”, in R. B. Sergeant, R. L. Bidwell, G. Rex Smith (eds.) *New Arabian Studies* 1, University of Exeter Press.

ملاحظات على مقال:
((الصراع السياسي
والتراتب الاجتماعي في حضرموت))

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تتناول الأنثروبولوجيا بوجه عام

الحمد لله على كل حال.. وبعد فالواقع المعاصر قد أثرى المكتبة الإنسانية بلفيف من المعارف والفهوم في شتى الفنون، وتفرغ لهذا الفن خبراء متخصصون يرضـخون الدراسات للجانب العلمي، ويرسمون الطرح الواعي المؤثر على القـارئ، ويخـدمون بذلك سياسة الطرح التي يرغبو ا ويودون ا تحول العقليات من شيء إلى شـيء، أو ثبا ا على أمر معين.

وعصرنا - لو تأملنا في حقيقة ما يكتب فيه وموضوع الكتابة وخاصة في الجوانب الاجتماعية أو ما سمي بـ« منهج الأنثروبولوجيا » - نجده قد نحى إلى تسخير المعرفة و« تدوين آليات العمل الميداني وكيفية بلورة الباحث لمعرفته عن الآخر »[1] من خلال الاهتمام بتبيان الشروط التاريخية والاجتماعية لما يسمى بـ« تكوين الحقيقة » لخدمة سياسات محددة ؛ أكثر من كونه تسخيراً للخدمات الإنسانية.

وربما خرج عن هذه القاعدة عدد يسير من الباحثين ممن سلمت أبحـاثهم عـن الوقوع في تحريف الحقائق وسلامة التعليل . وقد كتب حول هذا « بورديو » فقـال :

---

(١) « اليمن كما يراه الآخر » المقدمة ص١١ .

وقد يقع الأنثروبولوجي الباحث في هذا الخطأ نتيجةً لكونـه مراقبـاً مسـتثنى مـن النشاطات الاجتماعية، وليس له مكان في النظام الذي يراقبه »[١] .

وأعتقد اعتقاداً جازماً أن الأنثروبولوجي الباحث في المجتمعات لو أخطـأ نتيجـةً لسوءِ فهمٍ عن ذلك المجتمع وتركيباته فهو معذور إلى حدٍ ما ؛ ولكن المشـكلة الـتي تلزمنا الإفصاح أن البحث الذي نحن بصدده إكمالٌ خطير ومتابعةٌ مثيرةٌ لسلسلةٍ مـن الدراسات العلمية ذات السياسة الموجهة لهدف محدد، قد يكون الهدف أحياناً تعميق نوعٍ أو أنواع من الصراع الطبقي، أو كشفاً لعيوبٍ اجتماعيةٍ تخدم سياسة الدارس أو الجهة التي يعمل لها.

ونحن هنا من منطلق دراستنا المحدودة للنصوص التي بين أيدينا لا نجد حاجة كبيرة لقضية المتابعات « الأنثروبولوجية » على الوجه الذي يكتبه الباحثون المستشرقون عن قضايانا الاجتماعية من وجهة نظرهم كما هو في كتاب « اليمن كما يراه الآخـر»[٢] والذي نحن بصدد تناول بعض أبوابه ؛ بل حاجتنا إلى تلمس مواقع الضـعف عنـدنا كأمةٍ ذاتِ منهجٍ متـروكٍ عند غالب أهله، باعتبار أن فيه مواقع الطعن المقصود الذي يدخل منه العلماء الباحثون لهدم الكيان الإسلامي في المجتمعات المتخاذلة.

إننا لا نرى في الرد أو التناول العكسي فائدةً ترجى من حيثياتٍ كـثيرة ؛ ولكنـا نرى أن المحافظةَ المنهجيةَ العلميةَ داخل الإطار الاجتماعي المسلم وتنـوير الأجيـال المعاصرة -التي عانت كثيراً عبر مراحل الدفع السياسي والاستراتيجي الغـربي علـى الساحة الإسلامية عموماً، والساحة العربية واليمنية خصوصاً - بما يكشف لها فـارق

---

(١) انظر ص١١، وقد صدر هذا الكتاب صدر مترجماً عن المعهد الأمريكي للدراسات اليمنيـة «سلسلة الدراسات المترجمة (٢) » ، وهو كما وصفه عنوانه «دراسات أنثروبولوجية مترجمة» مراجعة وتحرير: لوسين تامينيان، وساهم بالمراجعة : عبدالكريم العوج.

(٢) ويوزع هذا الكتاب رغم تكلفته المادية مجاناً، وفي بعض المكتبات يباع بسعر زهيد.

المنطلقات الفكرية -التي نتباين فيها نحن كمسلمين وأولئك ككفرة أو ملحدين - إننا نرى أن المحافظة على المنهجية العلمية هذه هو الصحيح .

وأن مفهوم الدراسات العلمية عندنا لا يخـول للكـافر أن يرضـخ التركيبـاتِ الاجتماعيةَ للمنهجِ العلمي النظري والقواعد الفكرية الأنثروبولوجيـة علـى صـفة الإطلاق، وله الحق – بل كل الحق – أن يثري البحث العلمي النظري المتعلق بالعلوم الأخرى ذات الارتباط بالتطور العقلاني وما استثمره في واقع التجربة الإنسانية مـن اختراع واكتشاف وعلوم كونية .

وموقفنا كمسلمين من دراساته العلمية في هذا العلم المعقد يسير بفعاليةٍ وتجـاوبٍ ما دام في دائرة البحث العلمي الكوني، حتى إذا ما بلغ إلى مستوى العقائد فإننا عندها نخالفه الاستراتيجية المطروحة، ذاك لأن العقل الكافر -وللأسف- لم يلتـزم بالمنـهج العلمي لخدمة الإنسانية وتطوير معارفها العلمية، بل سخر القواعد العلمية التي أبدعها لحربٍ منظمةٍ ضد المعتقدات الغيبية وضد آثار الدعوات الدينية الخيرة في العالم؛ بعـد أن انحرفت من هذه الناحية « مسيرته العقائدية » عبر تاريخ التطور الإنساني للرسالات السماوية .

وقد شغلت هذه المسألة عدداً من الباحثين باعتبارهـا مسـألةً هامـةً في قضـية الدراسات المعاصرة .

ويبدو أن قواعد علم الأنثروبولوجيا - كما وضعها علماء الغرب - تعني إعـادة النظر في الدراسات الاجتماعية الإسلامية وطرح قاعدة علمية ذات أبعاد راسـخة . كما يقول «لوسين تامينان» جامعة ميتشيجان / آن آربر / الولايات المتحدة في مقالته «الذات والآخر - غياب الحوار» ص١٣ من كتاب «اليمن كما يراه الآخر» : « لقـد كثُر الحديث في الثمانينات عن علم اجتماع عربي لا يقوم على ترجمة المناهج البحثية

والنظريات الغربية، بل على منهجية وأُطُر نظرية تنبعث من خصائص الثقافة العربيـة الإسلامية وتراثها الفكري . إن هذا المشروع قد طرح تحدياً كبيراً علـى البـاحثين العرب، يتمثل في استيعاب التراث وإعادة صياغته وتأويله حتى يمكنه من التعامل مـع الظواهر الجديدة، وإذا ما أعلن ابن خلدون الأب الروحي لعلم الاجتمـاع العـربي تقترح « شامي ١٩٨٩:٦٥٣» أن تكون كتابات ابن بطوطة الجغرافي والرحالة العربي الأساس لأنثروبولوجية عربية؛ إلا أ ا ترى أن هذا المشروع يتطلب الدخول في حوار مع الفكر العربي الاجتماعي الذي لا زالت الأنثروبولجيا صامتةً عنه ومـع الخطـاب الغربي الأنثروبولوجي حول العالم العربي » .

وهذا الطرح يؤيد ما قلناه وقاله العديد من الباحثين المسلمين الحريصين على تنقية العلوم الاجتماعية الإسلامية من شوائب التركيبات الفكرية الغربية . مـع أن مقولـة «لوسين تامينيان» تطرح القضية من ناحية أخرى، وكأنه يرى صعوبة تعامل علمـاء الاجتماع المسلمين مع تراثهم لما فيه من غيبيات ومفاهيم تختلف عن الجانب العلمـي العقلاني.

ولو وسعنا المشهد الذهني لما يسمى عنـد البـاحثين « بمـا وراء الطبيعـة » أو «الميتافيزيقيا» لوجدنا أن هذا الأمر موجود في كافة الدعوات وا تمعـات الإنسـانية كمسألةٍ مسلم ا . ولم يشذ عن القاعدة الإنسانية إلا ماديو الفكر وعلماء المـدارس الإلحادية والعلمانية ومؤسسات فكرية معينة .

وكما استطاع العديد من علماء الاجتماع المنصفين التعامل مـع التـراث غـير الإسلامي على ما فيه من انحرافات عقائدية فإن الإسلام أكثـر اسـتقامة وجـدارة باستيعاب المنهجية العلمية القادرة على دحض كافة الشبهات العقلانية ا ردة.

الملاحظات على هذا المقال

وافانا المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية بكتاب « اليمن كمـا يـراه الآخـر » كدراسة أنثروبولوجية مترجمة من « سلسلة الدراسات المترجمة » (٢) مراجعة وتحرير لوسين تامينيان، ساهم بالمراجعة عبدالكريم العوج.

ومن باكورة مقالاته مقالة تحمل عنوان « الصراع السياسي والتراتب الاجتمـاعي في حضرموت»، وقد لوحظ في هذه الدراسة بعض الأمور التي لابد مـن الملاحظـة عليها ليدرك القارئ أن التناول الاجتماعي أو الدراسة الأنثروبولوجية – كما تسمى – قد ترضخ في بعض الأحيان لخدمة القضايا المطروحة للمراحل.. أو هكذا نرى..

فالعنوان ذاته – من الناحية الموضوعية – يحمل هدفاً يختلف عن المسألة التي تناولها الموضوع عشية حدوث الصراع المفتعل بين العلويين والإرشاديين، فالعنوان يقـول : الصراع السياسي، والمعلوم أن مفهوم السياسة يختلف عن مفهوم التناقضات الفكريـة الدينية، والصراع الذي أُقحم فيه الحضارمة -علويين وإرشاديين- ليس سياسياً بمفهوم السياسيين ؛ إلا إذا كان البعد الأخير لهذا الصراع يقحم السياسة - لكو ـا راعيـة الصراع - فهذا ليس ببعيد.

إننا نرى أن الخلاف الدائر منذ الأزمة المفتعلة إلى اليوم الذي نبشت فيه القضية من جديد على الأوراق تحت المسميات العلمية هو خلاف عقائـدي فكـري تعمقـت مشكلته تعميقاً موجهاً لخدمة أهداف معينة، ولهذا أُعيد بعثها من جديد تحت مفهـوم الدراسات الاجتماعية بعد أن دخل الإسلام كله مجال الصراع وصار إحدى الأوراق المطروحة لزرع التناقضات بين الأمة كلها.

إن المدة التي تفصل بين نشوب المشكلة قُبيل الحرب العالمية الثانية وبين مرحلة الاستثمار العالمي لكافة الاستراتيجيات في العالم الإسلامي قد أفرزت في المحيط الحضرمي واليمني والعربي في العالم الإسلامي تحولاتٍ خطيرةً كشطت من الخريطة الفكرية قائمة المدرسة العلوية والعلويين الحضارمة ومعها كافة الأجنحة المذهبية والصوفية في الإسلام.

ولم يعد من الوعي بمكان في هذه المرحلة الموصوفة بالصحوة أن يعاد صياغة القضية العلوية الإرشادية من جديد ؛ إلا إذا كان الأمر فعلاً يؤدي إلى إنضاج سياسة محددة في الواقع المعاصر لزج العقل الإسلامي الغثائي مرة أخرى في معارك باردة تعمق العداء وتعيد الصراع المسيس.

والذي يجعلنا نرجح مسألة الافتعال الموجه لهذه المسألة قول الباحث : « وسأبين أن من أهم الأسباب الكامنة وراء هذا الصراع هو نظام المكانة حسب النسب الذي يقوم عليه التراتب الاجتماعي في المجتمع الحضرمي، والتنافس على السلطة ما بين العلويين المحافظين والإرشاديين الإصلاحيين » .

والكل يعلم أن مدلول المحافظة – كما يتناوله البحث – لا ينحصر في العلويين كسادة، وإنما هي مواقف أخلاقيةٌ قامت على قواعد دينيةٍ أدبيةٍ ذات أهداف تجمع بين العلوي وغير العلوي وتتدرج في كافة طبقات المجتمع.

كما أن مفهوم الإرشادي الإصلاحي لا ينحصر في غير العلوي، بل هي مدرسة فكرية قامت على أساس النقض العلمي لمدرسة أخرى، ينطوي تحت رايتها لفيف من الناس على مختلف طبقاتهم بما فيهم غير العلويين.

كما نرى في مقولة الباحث تجاوزاً للواقع من حيث الطرح القائل : « والتنافس على السلطة »، فالعلويون - كمدرسةٍ لا كأفرادٍ - من مبادئهم الثابتة عدم المنافسة

على الحكم، وشعارهم كسر السيف، والتعايش السلمي مع الخصوم . والدارس الأنثروبولوجي المنصف يجب أن يتعمق في جذور المبادئ لكل مدرسة حتى يضع البحث الملائم للواقع الاجتماعي ذاته.

الصراع العلوي – الإرشادي(١)

نرى أن الطرح الأساسي في هذا الباب باطل من أساسه علمياً، فالعلويون -وهم من ذرية الإمام علوي بن عبيدالله ابن الإمام المهاجر- أمام خصومهم ليسوا عائلة، بل مدرسة ؛ وكذلك الإرشاديون أمام خصومهم ليسوا حشداً لغير السادة، بل مدرسة ؛ فأصل الدراسة الأنثروبولوجية هنا قائم على مبدأ التناقضات العرقية، والأصل أن التناقض ليس عرقيا بل تناقض فكري ؛ وهذا ما تؤيده شواهد الأحوال إلى اليوم والليلة، ففي حضرموت والحجاز وإندونيسيا علويون إرشاديون، وربما بلغوا مرتبة القيادة في الصراع الفكري، وفي هذه المواطن أيضاً أفراد وجماعات غير علويين وهم من كبار رجال مدرسة حضرموت الصوفية.

إن مبدأ التناقضات العرقية الذي تعتمد عليه مثل هذه الدراسة لا يختلف كثيراً عن منهج الصراع الطبقي الذي عمقته المدرسة الإلحادية في اليمن وحضرموت، وجذرت من خلاله كافة التركيبات المتوارثة في المجتمع.

---

(١) المصدر السابق ص٢٨.

جاء في نص الدراسة ص٢٨ : « وكان الكثيرون يشعرون بالمرارة حيـال قاعـدة الزواج من مرتبة أعلى التي تشكل رمزاً للنظام التراتبي في ا تمع الحضرمي » .

وأوردت الدراسة قصة شريفة تزوجت مسلماً هندياً عام ١٩٠٥ م وما ترتب على ذلك من صراع فكري وسياسي ودموي في الشرق الأقصى بإندونيسيا وسـنقفورة. ونحن نرى أن مثل هذا ليس قضية النـزاع بين « العلوية والإرشادية »، وإنما هو أحد المتناقضات التي تدخل منها عوامل الصراع إذا أُثير بين كافة طبقات ا تمع سواء كان من القبائل والعبيد والعمال، أو بين القبائل والمشايخ، أو هو بين الكـل والسـادة. فالحياة الاجتماعية المتوارثة في ا تمع الإسلامي كلها قائمة على مفهـوم الكفـاءة، والكفاءة مسألة خلافية بين علماء الفقه الإسلامي وليس بين العلويين والإرشـاديين، وما جرى في عام ١٩٠٥ م هي مسألةُ تعصبٍ مقيتٍ لا علاقة لها بالإنصاف والاتزان الديني القائم على القواعد المرعية، بل كانت قائمة على التحـدي وإثـارة النعـرات والعصبيات واستغلال النصوص من الجهتين لخدمة النـزاع المفتعل.

ومثل هذا يحسن الكتابةَ فيه علماءُ الإسلام المنصفين لا الباحثون الغربيون، وإذا ما نحن سلمنا للباحثين الأجانب إرضاخ مثل هذه القضايا للدراسة فإن الحق يلزم الجميع صدق الموضوعية في نقل الصراع وأسبابه وحصره في « موقعه وأصـحابه »، ولـيس منهجاً للاستدلال ضد العلويين ولا تأييداً للإرشاديين الإصلاحيين.

إن المدرسة الإرشادية في نجد والحجاز أصدرت قانوناً رسمياً يكرس مكانة الفتـاة السعودية في ا تمع الإرشادي السعودي فوق غيرها من المسلمين ولو كـان سـيداً علوياً ؛ ويمنع زواج السعودي (المواطن) من غير السعودية (غير المواطنة) ولو كانـت علوية ؛ ولم نجد في نصوص الإسلام كلها ما يخول لمسلم مثل هذا إذا نحن أردنـا أن

نبحث القضايا بإنصاف.. ومع هذا أو ذاك فلا نرى في إبراز هـذه القضـايا نفعـاً للإسلام ولا للمجتمع الغثائي المعاصر، ما عدا تعميق الصراع لخدمة السياسة المدمرة.

إن السيد العطاس – الذي ورد ذكره ص٢٩ – من خلال رسالة نقلها عن مجلـة المنار - وقوله -أي الباحث- : « إن العطاس اعتبر الزواج من غير كـفء للسـيدة حراما، وأن رضا والدي الشريفة أو ولي أمرها لا يجعل من هذا الزواج حـلالاً، لأن الإسلام نفسه يمنع زواجاً كهذا » نراه قد أفتى خطأً في هذه المسألة ولو أن هذه ليست فتواه بل هو قول بعض أهل العلم.

والمسألة من أساسها لا تحتاج كل هذا النـزاع إلا لأ ا اتخذت أسلوباً خارجاً عن حدود الاتزان.. وقد ذهب أصحا ا..

والعلم فوق الجميع، وأقوال العلماء في هذه المسألة واضحة كل الوضوح، ومتى ما أسقط الولي حق الكفاءة صح النكاح، وما فوق ذلك عصبيةٌ ممقوتةٌ، ويعتـبر أصـل الفتوى تعبيراً خاصاً بصاحبها واجتهاداً له في هذه المسألة[1].

أما قوله صفحة ٢٩- ٣٠ : « وقد هاجم رضا مقولة العطاس بأن السادة يملكون شرفاً فطرياً»..إلخ.

قلنا : الشرف الفطري أمر صحيح لا غبار عليه في السلالات والأنساب، وهذا قد يتعدى الكائن الإنساني إلى الكائن الحيواني، ففي الخيول سلالات وأنساب، وهـذا لا يعني احتقار السلالات الأخرى، لأن الإسلام لا يحتقر أحداً، ولا فضل لعـربي علـى أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.

---

(1) وقد حررنا في ذلك رسالة سميناها: « الموجز اللطيف في الخلاف في كفاءة النسب الشريف».

فهناك شرف فطري مشروط، وهناك شرف ديني واجتماعي مشروط، وما خرج عن الشروط فتعصب مقيت وتفاخر جاهلي، ومثل هذه الدراسات نموذج منها، ومسألة الاعتماد على مقولة رضا لأنه غير علوي ومرجعيةٌ إسلاميةٌ خارج الجالية الحضرمية ليس بحجة يعتمد عليها.

وأما مقولة البكري التي وردت في الدراسة ص٣٠ : « وهذا فإن حادث ١٩٠٥ م أثار جدلاً واسعاً حول نظام التراتب وانقسم الحضارمة إلى معسكرين متضادين العلوي والإرشادي » .

فالذي نراه أن وصف البكري أقرب إلى المنطق من وصف الدراسة، حيث إن الوصف هنا جعل المسألة محصورة في « معسكرين » لا « مدرستين »، وكلا المعسكرين قد حولا المسألة إلى تعصب خرج بهما عن أدب الاتزان في الإسلام كله.

وإضافة إلى ما قلنا فإن الانقسام المذكور مسألةٌ طبيعيةٌ نتجت عن فتنةٍ أُثيرت بين طائفتين غذاهما التعصب والجدلية، والمعلوم في الشرق الأقصى أن مسألة التفاوت الاجتماعي والصراع العرقي لم يكن مبدؤه النزاع العلوي الإرشادي بل بدأ باهتمام الغربيين مثل سارجنت وانجرامس وغيرهما بدراسة أنساب السادة العلويين وفتح ثغرات معينة للطعن في النسب، وبين أيدينا كتاب «الشواهد الجلية في بيان خلف القاعدة الخلدونية»[1] شاهد عدلٌ على أن القضيةَ مدروسةٌ عالمياً أكثر من كونها مسألة اجتماعية في حضرموت.

(١) للمؤرخ السيد عبدالله بن حسن بلفقيه ، مطبوع.

المعتقدات الأساسية لتعاليم السادة

جاء في الدراسة العلمية ص٣١ : « وكانت تأويلا م - أي السادة - هي السائدة في هذين ا تمعين، ولهذا اضطر الحضارمة من غير السادة إلى اللجوء إلى مرجعيـات خارجية ليتشككوا في المعتقدات الأساسية لتعاليم السادة » .

قلت : كان الحضارمة من السادة والمشايخ والقبائل وبقية الفئـات الاجتماعيـة يتلقون في حضرموت منهجاً علمياً وتعليماً واحداً، ففي الاعتقاد منهج الإشاعرة وفي الفقه مذهب الشافعي وفي فروعه فروع ابن حجر والرملـي، ولـيس للسـادة أي تأويلات خاصة كما تزعم الدراسة العلمية .

وإذا كان القصد من هذه العبارة المغرضة كغيرها تحويل مفهوم الكفاءة فإن لجـوء الإرشاديين إلى المرجعيات الدينية لم يكن للتشكيك في المعتقدات الأساسـية، وإنمـا لمواجهة التعصب عند أصحاب الفتوى بما يلائمه من خارج مدرسة حضـرموت، إذ إن المعتقدات لا تنحصر في هذه القضايا وحدها، وأيضاً لم يأت أصحاب المرجعيـات بشيء خارج الإسلام، فهو اختلاف فقهي علمي ضمن مدرسة الإسلام، وهذا أمـر معهود من العلماء حول المسائل الخلافية.

سجن العقول وتسميم الأفكار

كتب مؤلف الدراسة : « عم الاعتقاد بين الإرشاديين أنه حتى ذلك الوقت قـام السادة بسجن عقولهم وتسميم أفكارهم وإفساد معتقدا م وأجبروهم على عباد م».

هذا القول لم ينحصر فيمن أسماهم بالإرشاديين، فهذا القول كان يقوله الشيوعيون أيضاً، ويقوله عدد من دعاة الصحوة اليوم، فيا سبحان اللّه !

تعددت الألسن والقذف واحد.. وعسى أن لا يكون الهدف واحداً أيضاً..

ونحن نرى أن الجديد بالدراسة الأنثروبولوجية من وجهة نظر الإسلام والمسـلمين عموماً أن العلويين والإرشاديين والمذهبيين والصوفيين وغيرهم من أهل الإسلام قـد سجنت عقولهم، وسممت أفكارهم، وأفسدت معتقدا م، وأجبروا على عبادة العجل المادي، وخدمته في سوق العرض والطلب، تحت التأثيرات الفكرية الماكرة، وبسـبب تعميق التناقضات الفكرية الدائرة، وتحويل القضايا الإسلامية إلى سياسـات إعلاميـة تعمق الحرب بين أهل الملة الواحدة.

إننا نعلم أن الجهل قد يؤدي إلى الظلم، وهناك أفراد من أبناء السـادة والمشـايخ والقبائل مارسوا أنماطاً من الظلم الاجتماعي ضد غيرهم ؛ ولكنا ندرك أسباب ذلك، فالسيد والشيخ والقبيلي عندما يمارس الظلم الاجتماعي متجرد عن منهج دينه الـذي دعاه إليه نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم وألزمه به قرآنه وعقيدته، وربما كان متـأثراً بأعراف قبيلة أو دراسات عصرية أو سياسات أجنبية غـزت المنطقـة في مراحلـها المتقلبة.

والمخرج الصحيح من الأزمات الاجتماعية ليس إعادة الجراح وتعميقها بمثل هذه الدراسات الممنهجة، وإنما بالعلم الإسلامي الصحيح، وفتح أبواب الـدعوة إلى اللّـه وإرساء قواعد الأخلاق والسلوك الإسلامي، وهذا لا يملكه الباحثون، بل ربما حاربوه ووقفوا ضد رجاله ودعاته، وهذا شأن الكثيرين منهم.

تقبيل الأيادي وزيارة القبور

جاء في الدراسة ص٣٢ : « وقد ا م الإرشاديون السادة باسـتخدامهم الإسـلام للبقاء على عدم المساواة، والمحافظة على مكانتهم في ا تمع وتلقينهم الناس الخرافات، مثل تقبيل أيادي السادة، وزيارة قبور أوليائهم، وإصرارهم على قصر الألقاب عليهم، وهكذا كان السادة بمثابة الرجعيين الذين أبقوا حضرموت في «الظلام والجهل» » .

وهذه التهمة الباردة التي أكل الدهر عليها وشرب لم تصـبح مظهـراً للسـادة الرجعيين، بل أصبحت مظهراً طبيعياً عن الإصلاحيين الإرشاديين لدى التعامل مـع أمرائهم وساد م الحكام والعلماء في عواصم الإرشاد: مثل تقبيل الأيـادي، وزيـارة مآثر العظماء والفاتحين، وإطلاق ألقاب ومسميات مقصورة عليهم . و ـذا يبطـل الإفك الموجه ليدرك الإرشادي قبل العلوي أن المسألة شب فتنةٍ من خـلال تحجـيم المتناقضات وليس دراسة اجتماعية هادفة .

مع العلم أن ورود التهمة التي وصفت السادة بمثابة الرجعيين الذين أبقـوا علـى حضرموت في الظلام والجهل كانت عام ١٩١٤ - ١٩٢٧ م خلال نشوب الفتنـة المفتعلة بين الإرشاديين والعلويين ؛ ولكن المراحل التي تلتها قد هيـأت للشـيوعيين والعلمانيين وكذلك الإرشاديين حركة التغلغل السياسي والاجتماعي والاقتصادي في حضرموت ذا ا « ضد السادة ورجعيتهم المزعومة »، فماذا كانت الثمرة والنتيجة غير الظلام والجهل مرة أخرى ؟

إن الدراسات الأنثروبولوجية العادلة القائمة على العلم والإنصاف يجب أن تناقش أسباب فشل الحركات السياسية والاجتماعية علمانية وشـيوعية في بنـاء ا تمـع الناهض، وتناقش فشل الإرشادية خلال كافة مراحلها المتطورة عـن إيجـاد المثـال

الإسلامي البديل « ضد الرجعية المتمثلة بالسادة » سياسةً واقتصاداً إسـلامياً وحيـاةً اجتماعيةً متساويةً .

إن الحملة الإرشادية ضد القبور وتقبيل الأيادي لا ولم تصنع شيئاً جديداً في الواقع الإسلامي بقدر ما عمقت العداوة بين الشرائح الإسلامية وفتحت ثغرةً لغير المسلمين، كي يستثمروا الحياة المادية لمصالحهم الاستراتيجية، تحت شعارات التطـور والتقـدم والحضارة، واستبدلت العلاقات الرجعية -كما سميت- بعلاقات أشد دماراً وفرقـةً وتمايزاً اجتماعياً، كما هو ملاحظ في قوانين الأحوال المدنية وأساليب قوانين العمـل المعاصرة.

أدبيات الإرشاديين

أوردت الدراسة ص٣٢ : « ركز الإرشاديون في أدبيا م على المساواة بين النـاس جميعاً دون اعتبار النسب، واستخدموا عن قصد لقب « سيد » لمخاطبة أي إنسـان، وكرسوا الزواج المختلط بين القبائل والمشايخ والمساكين، وعلمـوا هـذه الأفكـار الجديدة في مدارسهم » .

وتعليقنا الواعي على هذا التعليل المغرض : إن العلويين والإرشاديين وغيرهم مـن شرائح ا تمع الإسلامي في حاجة ماسة لأدبيات الإسلام ذاته، ولا قيمـة لتعصـب العلويين، ولا لتهم الإرشاديين، فواقع الإرشاد ذاته - إذا كان الدارسون المستشرقون يرونه مثالاً سليماً ضد الرجعيات العائلية - فإننا نرى من خلال دراسة الإسلام ذاتته أن الإرشاد يحمل عيوباً جمة، والمدرسة العلوية شابتها عيوب جمةٌ خـلال المراحـل المتعاقبة، ولا حجة لأحد ضد الآخر.

فالعلويون المتعصبون ربما صدر منهم مخالفات تثير الفتنة بين الفئات الاجتماعيـة، والإرشاديون المتعصبون يستثمرون كل شيء بدءاً بمخالفات السادة و ـاية بالإسـلام كله، لخدمة من لا يستحق الخدمة في الواقع المعاصر.

والإرشاديون منذ نشوء مذهبهم كمدرسة وهم يعانون من قصور الـوعي لـدى أتباعهم، كما يعاني ذلك علماء الإسلام من عوامهم وأتباعهم في كل مذهب، ولهـذا فعلى المدى الذي انتشر فيه مذهب الإرشاد في نجد والحجاز وتفرق كبرنامج في بعض بلاد العالم لا زالت أدبيا ـم قاصرة أن ترقى إلى المستوى الإسـلامي البـديل عـن «المعتقدات الأساسية لتعاليم السادة» كما عبر عنها الباحث.

ومدرسة العلويين في حضرموت وخارجها ترضخ كغيرها من مدارس الإسلام إلى نصوص علمية ثابتة حول العديد من المسائل الخلافية، يعرف ذلك دارسـو العلـوم الإسلامية .

ولم تكن المساواة في الإسلام مطلقة الجانب كما يفهمها الغـرب، والنسـب في الإسلام شرطٌ أساسي في التركيب الاجتماعي، خلافاً ـتمعات الغرب الـتي يرسـم الدارسون من خلالها قواعدهم النظرية، ولم يصدر العلويون تعميماً لأحد أن يحتكـر عليهم لقب « السيد »، وإنما كان ذلك من فعل بعض العلماء والحكام قديماً رغبـة في معرفة « آل البيت » تبركاً بصلتهم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم . وهذا مـا لا يحسن فهمه غير المسلمين إذا فقهوا وزالت عنهم آثار العصبيات .

وأما تكريس الإرشاديين للزواج بين القبائل والمشايخ والمساكين كما أورد الباحث فحالات شاذةٌ جداً، حيث لا زالت الأعراف والتقاليد في كافة ا ـتمعات الإسـلامية تنطلق من واقع الفوارق الاجتماعية التي ألفوها، ولربما أجمع الكثير من هؤلاء وهؤلاء على ضرورة زواج السيدة من غير السيد باعتبار كسر حـاجز الشـرف الفطـري،

ولكنهم يجبنون كثيراً عندما يريدون تزويج الشيخ من القبيلي والقبيلي من العبد وهلم جرا، ومن هنا نعود من جديد إلى سياسة الكفاءة المتعمقة في نفوس المسلمين عموماً دون استثناء، وأهل البيت جزء من هذه الشرائح.

والمدرسة الإرشادية كما ذكر الباحث تدرس الأدبيات في مدارسها ؛ ولكن على النمط المنهجي العربي كما هو اليوم في مدارس حضرموت وإندونيسيا، والنمط الحكومي إنما يعمق هذه التناقضات لا يعالجها، وهذه البحوث المسماة بتسمية الدراسات الأنثروبولوجية تعمق التناقضات وتنبشها ولا تعالجها .

ونحن من وجهة نظرنا العلمية نرى أن معالجة القضايا الاجتماعية المعقدة بين أفراد الشرائح الإسلامية ومدارسها لا تكون بالنبش للمتناقضات وتعميق صراعها وإذكاء نارها، بل بنشر ثوابت الإسلام ذاته من خلال الدراسات العلمية العادلة وإعادة دور الثقافة الإسلامية الراقية ذات النظرة الاجتماعية الرفيعة، بعيداً عن المسميات الإعلامية القاصرة، سواء فيما سماها الباحث « بالمعتقدات الأساسية لتعاليم السادة »، أو ما أطلق عليها في المقابل أدبيات الإرشاديين . فهذه نظرة قاصرة عن منهجنا الإسلامي الحق ؛ ولكنها ربما ناسبت سياسة العقول الراغبة في تعميق الصراع، أو عقليات العساكر المستثمرة له، ويؤيد هذا ما ذكره الباحث ص٣٣ خلال مرحلة السلطة القائمة على التجزئة والتناقض وتنفيذ بعض هذه البرامج تحت مظلة الاستشارة الغربية حيث قال : « نشر البكري رسالة كتبها سيد مرموق من حضرموت ذو تأثير على الرجال المنتمين إلى قبائل يافع في إندونيسيا يحثهم فيها على عدم الالتحاق بالحركة الإرشادية، ورسالة أخرى كتبها سيد أيضاً مرسلة إلى حضرموت يطلب فيها الكاتب من أهل بيته عدم الإصغاء لأكاذيب السادة، ويدافع بشدة عن قضية الإرشاديين».

لو أخذنا هذه المعادلة، وقارناها بما كان عليه بعض السادة خلال مرحلة الشيوعية، وكيف انسلخوا عن الإسلام كله وحاربوا من داخل أقبية مفاهيمهم المتناقضة مدرسةَ

أهلهم بحضرموت لعرفنا أن هذا لا يعتبر منهجاً علمياً ولا عقائدياً اجتماعياً، وإنما هو تعصب فردي أو تحزب فئوي لا يعطي أحداً حجةً على أحد، بقَدر ما يـدل علـى غياب الصيغة الإسلامية الصحيحة لدى الجميع.

جمعية الأخوة و التعاون بتريم

تناولت الدراسة العلمية مسألة التعليم في حضرموت، فنقلـت عـن المستشـرق سارجنت ما مثاله : لقد عرفت معرفةً جيدةً عدداً من أعضاء جمعية الإخاء والتعـاون التي انتمى إليها عدد كبير من شباب السـادة في كـل مـن سـنغافورة وتـريم في حضرموت، وتولد لدي انطباع بأ م يتوقون حقاً لتحسين الأوضاع في حضـرموت؛ ولكن أحد معارفي من المعارضين للسادة أكد لي أن هذه الجمعية وقعت اتفاقيةً سـريةً تحتوي على بندٍ يدعو إلى الاكتفاء بتعليم أولاد الضعفاء المساكين إلى مستوى معـين، وبنود أخرى دف إلى الإبقاء على ما للسادة من هيمنة » . اهـ [1] .

وقد وجدنا في الاستدلال برأي سارجنت تأكيداً لدراستنا حـول تضـافر دراسـات الباحثين المستشرقين على قضية المتناقضات الاجتماعية بحضرموت باهتمام بـالغ وبـالتواء مقصود، إذ إن مما يؤسف له غاية الأسف تحريف الواقع وتحميل الدراسـات المنسـوبة إلى العلم سياسة التعميق لمفهوم الصراع الطبقي بين السادة وغير السادة كذباً وزوراً.

فسواء كانت جمعية الإخاء والتعاون التي بذل زعماؤها الكثير من التنـازلات في سبيل النهوض بالدعوة الحديثة، ولم يفدهم ذلك أمام السياسة الغربيـة، أو كانـت أربطة العلم وحلقاته ومدارسه بحضرموت القائمة على النمط التقليدي الأبوي فإ ـا كلها ليست لديها كما نعلم أي بنود سرية تقضي بمنع تعليم غير السادة، أو أن تجعل

---

(١) « اليمن كما يراه الآخر » ص٣٣ .

لأبناء المساكين والعوام مستوى معيناً ثم يمنعون من الاستمرار كما زعم سارجنت في عبارته المنسوبة لأحد معارضي السادة .

ولا أفشي سراً إذا قلت: إنه لا يوجد أحد معارض للسادة من داخـل مدرسـة الإسلام، وإنما معارضو الإسلام هم معارضو الأمة الإسلامية بكافة طبقا ا ؛ لإيجـاد فرقة بين الفئات الاجتماعية المتعايشة في المحيط الواحد . وما معارضة الإرشاديين على النمط المعتنى به قِبل باحثي الدراسات الأنثروبولوجية والمستشرقين على مثـل هـذه الصفة إلا وسيلةٌ لهدم أحد ركني الحياة الاجتماعية، ثم الالتفات للجانب الآخر كمـا هو ملاحظ في سياسة الاستشراق.

وإذا افترضنا أن من الإرشاديين من يذهب مذهب المستشرقين وبـاحثيهم حـول مسألة احتكار التعليم فإننا نحيله إلى ملفات وأوراق العلماء الذين درسـوا في جمعيـة الإخاء والتعاون وفي زوايا العلم وأربطته ليجد أن نسبة كبيرة من شـيوخ المراحـل السابقة فقهاء وأصوليين ومفتين وقضاة ودعاة كانوا من غير السادة، وكان تلقّـيهم للعلم في هذه المدارس الشعبية المشتركة.

ثم علينا من باب المعادلة -لا التشفي- أن ننظر في سياسـة الإرشـاد اليـوم في عواصمه وهو يمنع العديد من أبناء المسلمين عن مواصلة الدراسة في الجامعات ليقتصر التعليم على فئة معينة تحمل الهوية الإقليمية تحت سمع وبصر الأنثروبوليجيا، وفي أوسع مواقع حركتهم العلمية والنظرية، فماذا يقولون في ذلك من حيثيات الرؤية العلمية ؟

ولا نعتقد إلا أن إرضاخ مثل هذه القضايا للدراسة ستخول العديد مـن علمـاء الاجتماع أن تنتقد ا تمع الإرشادي وأدبيـات الإرشـاديين في الوقـت المناسـب وبأسلوب مناسب، وقد ظهر في الأفق نقد وتحليلٌ لكافة نماذج المدارس الإسلامية، بل وللإسلام ذاته، ولشخص الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم .

والذي يجب فعله على المسلمين الارتفاع من حضيض الاستتباع والملاحقة لبرامج الفرقة إلى وحدة الإسلام العالمية . وإذا ما تنبه المسـلمون وخاصـة رجـال العلـم والأبحاث والدراسات واستفادوا من المنهج العلمي المطروح وأخذوا يعيدون أسـلوب صياغة المعالجة للمتناقضات الفكرية بعيداً عن الغرضِية والمرضِية ؛ فسيكون بـذلك - ولا شك- تحولٌ واضح في العلاقات الاجتماعية والفكرية لصالح اجتماع المسـلمين على قواسم الملة الحنيفية السمحة، ودحض سياسة التمزيق والتفريق المعلنة.

البناء الاجتماعي الحضرمي

ورد في نص المقالة ص٣٥ : « لقد كان هدف الإرشاديين المعلن إصلاح ما كانوا يعتقدونه فاسداً في البناء الاجتماعي الحضرمي الذي حمله المهاجرون معهم إلى الشرق الأقصى، وبالمقابل فإن العلويين كانوا يقاتلون من أجل المحافظة على ما اعتقدوا أنـه يشكل المبادئ الخيرة والأساسية في ا تمع الحضرمي » .

نقول: لقد كانت دعوة التحديث والتجديد هدفاً للعديد من المـثقفين والعلمـاء والمفكرين بحضرموت وخارجها ولم تكن خاصة بالإرشاديين، وخاض العديد من أهل البيت والمشايخ والقبائل وغيرهم من الشرائح الاجتماعية معارك فكريـة واجتماعيـة عديدة داعين إلى فكرة التطور والأخذ بما يفيد من أسباب الحضارة الحديثة، وإنما كان دور المشتغلين بأفكار الإرشاد إثارة الفتن من خلال بحث التناقضات المذهبية والفوارق الأسرية بين طبقات ا تمع وتحويلها إلى مادة حرب ضد «السادة»، وفي نفس الوقت اشتغل عدد من السادة بالتصدي لهذه الحرب وإثارة الكوامن الخامدة تحـت شـعار وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثْلُها ، وغاب عن الجميع في غمرة الانفعال باقي الآية ومـن عفا وأصلح فأجره على الله .

ولم يفلح الإرشاديون ولا الشيوعيون ولا العلمانيون الذين كرسوا جهوداً وأموالاً ودعايات كثيرة في إصلاح ما كانوا يعتقدونه فاسداً ؛ لأن المحرك والدافع للمعالجـة خارج عن دائرة المعالجة الإسلامية ومن يبتغِ غَيرَ الإِسلامِ دِيناً فلَن يقْبلَ مِنه ، ولا زالت بصمات الإلحاد باديةً في جدار المرحلة إلى اليوم.

المعالجة المنطقية بين الرأيين

جاء في الدراسة ص٣٥ : « وقد أسس السادة معظم مراكز التعلـيم الرئيسـية في البلاد، وسيطروا عليها، وأنشؤوا طريقتهم الصوفية الخاصة م، وهي الطريقة العلوية، التي كانت بمثابة القوة الدافعة لدورهم التبشيري، وقد ظهر عدد من السادة الأتقيـاء الذين اكتسبوا سمعتهم في مواقع عملوا فيها ودفنوا فيها بعد مو م، حـتى صـارت قبورهم ذات القباب الكبيرة -والتي تنتشر في أنحاء عديدة من البلاد- مراكز لطقوس فردية وجماعية متفاوتة الأهمية، و ذه الطريقة نشر السادة سلطا م الروحية».

إن الشغل الشاغل لدارسي العلوم الإنسانية البحث عن الثغرات في ا تمع، وها قد فعلوا، وربما أوغروا ضد السادة عقول وقلوب الكثير من البسطاء ؛ ولكنا إذا أردنا أن نكشف زيفهم وخداعهم نضع كلمة قصيرة لا تتجاوز السطور التي حللوا ا واقـع حضرموت، فنقول : « وقد أسس الاستشراق والسياسة العلمانية والشيوعية معظـم مراكز التعليم الرئيسة في البلاد وسيطروا عليها، وأنشؤوا سياسا م العلمانية المتدرجة، وهي السياسة التعليمية التي كانت بمثابة القوة الدافعة لدورهم التبشيري، وقد ظهـر عدد من السياسيين والمفكرين والخبراء الذين اكتسبوا سمعة في مواقع عملهم واشتهروا محلياً وعالمياً حتى صارت سياستهم التوسعية « مدرسة عالمية »، وبمثل هذه السياسـة نشر الغربيون والشرقيون واليهود سلطتهم الاستعمارية في الأوطان المغلوبة».

جاء في الدراسة ص٣٥-٣٦ : « لم يكن السادة مبشرين فقط، ولكنهم لعبوا أيضاً دوراً سياسياً في ا تمع الحضرمي، ففي نظام حضرموت السياسي التقليدي شكل السادة عاملَ استقرار، فكانوا يتدخلون في الصراعات القبلية المزمنة يحلون الـ اعـات، ويوفرون أماكن حيادية، وطرقاً آمنةً للمسافرين في أراضي القبائل المتحاربة، و ـذا أصبحوا حكاماً لقرى محددة تقع في أماكن استراتيجية في طول البلاد وعرضها، وانطلاقاً من هذه القرى التي تسمى الحوطة تمكن السادة - بالإضافة إلى السلطة الروحية - من الحصول على ولاء القبائل المحيطة م، وهكذا امتلك السادة سلطة سياسية قوية إضافة إلى سلطتهم الروحية » .

هذا العرض الأخباري عن دور السادة في المنطقة كان -ولا زال- متأصلاً في الواقع الاجتماعي لأسباب اجتماعية تستحق الدراسة الأنثروبولوجية بإنصاف، فالباحثون الغربيون -في غالب الأحوال- لا يتعمقون في الدراسة إلى الجذور الأساسية، وإنما يقفون عند التأثيرات السياسية والاجتماعية وينسجون حولها أحابيل الشكوك والأوهام .

والحقيقة تبين للدارس المسلم أن الإسلام قد هيأ في الحياة الاجتماعية الدينية للمسلمين عموماً حقوقاً متساوية يجب العمل عليها في الحياة، وأعطى علماء المسلمين ومشايخ السلوك وقادة ا تمعات وأتباعهم موقعاً اجتماعياً يساعد على دئة الأوضاع الطبيعية البشرية وإقامة التوازن الاجتماعي في العلاقات بما يتلاءم مع الحاجة الإنسانية المسلمة وغير المسلمة .

وكما هو الحال في تأثير العائلة ذات الصفات والسمات الوراثية عند الغرب والشرق في توارث الحكم والسياسة والتأثير القبلي والاجتماعي « حسب العادات

والتقاليد »[1] فإن الإسلام قد منح المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم صفاتٍ وسماتٍ من النسب والخُلُق والحكمة يفتقر إليها كل الناس. ولا زالت آثارها قائمةً في عـالم الأمة إلى اليوم، ومنها بعض المراتب الاجتماعية القائمة على شرف الإسـلام ذاتـه كدين، لا على شرف العائلة، ومن هذا الشرف نالت العائلات المرتبطـة بالإسـلام وخاصة من نسِب إلى نبي اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم نصيباً من الشرف والوجاهة، ونال هذه الوجاهة أيضاً شرائح اجتماعية أخرى مشروطة في الإسلام بخدمة الـدين ودعوته لا بتعظيم الذات ومصالحها.

وفي المراحل التي اضطربت فيها أوضاع الدولة الإسلامية وساد العالم الإسـلامي صراع الحكم وسياسة التجييش وفصل الدين عن الدولة بدأ الا يـار الاجتمـاعي، واضطر العقلاء في الواقع المتمزق أن يلجؤوا إلى المعالجة المناسبة للواقـع والتركيـب الاجتماعي، فظهر العديد من آل البيت في بلدان شتى بالإصـلاح وجمـع الكلمـة، وخضع القبائل وحملة السلاح لجاههم الروحي المتعمق في النفوس المسلمة، وسـاعد هذا الأمر على إقامة التوازن في الحياة.

أما في حضرموت فدور آل البيت بارز كل البروز لعمق التأثير الديني الإيمـاني في نفوس الحضارمة بكافة شرائحهم، فكان حبهم للدين والإسلام يـبرز مـن خـلال التزامهم آل البيت ولمشايخ العلم والدعوة، وكان آل البيت وغيرهم مـن المشـايخ وأصحاب الجاهات يساعدون الناس على وضع الأمان والاطمئنـان لتسـود الحيـاة الاجتماعية لمحات الدعوة الإسلامية الداعية إلى الأمن والتحابب، وليس لدى السـادة رغبة منذ « كسر السيف » لإقامة حكم شامل لأحد. وهـذا سـائر في «علمـائهم

---

(١) وإلا ما معنى أن تحكم بريطانيا « المملكة المتحدة » نساء من عائلة معينة منذ قـرون طويلة حتى يومنا هذا ونحن في القرن الحادي العشرين !

وهذا ينفيه الإسلام فقط وتؤيده عقليات المستشرقين والباحثين وتأكل منه وتخدمه.

وقاد م)) إلى اليوم . وقد يضطرون لإقامة المصالح الاجتماعية لغيرهم من النصـح أو التأثير على بعض القبائل والقرى بحكم الولاءات المتوارثة من امتداد النفـوذ وإقامـة الخطوط الآمنة للغرض المشار إليه سلفاً إذا وجدوا الاستعداد لدى غيرهم لذلك، وإذا لم يجدوا لدى غيرهم الرغبة في ذلك تركوا الاستعداد لدى غيرهم لذلك، وإذا لم يجـدوا لدى غيرهم الرغبة في ذلك تركوا الأمر لمن يشتهيه .

ولم يعرف ا تمع الإسلامي سياسة العداء المبطن والمعلن ضد آل البيت لجـاههم وشرفهم المقرون بالدين إلا لما استطاع الكافر المستعمر أن ينفذ إلى الجسم الإسـلامي بعد سقوط دولة الخلافة في تركيا وظهور عصر الاستعمار، ورغم ما أدخله الأجـنبي من منافع اقتصادية وإدارية فقد أدخل مع ذلك فتنة ودماراً اجتماعياً خطيراً، ومازالت آثاره إلى اليوم.

وقفات مع مقال
((زيارة أضرحة الأولياء
في حضرموت))

بسم الله الرحمن الرحيم

يستفاد إلى حد ما عند المتابعة الاستقرائية للظواهر المعرفية والثقافية الدالة على «مستوى ثقافة الشعوب» من خلال مراجعة بحوث ومتابعات علماء التاريخ والآثار والاجتماع، وهؤلاء قد صاروا في عصرنا «علماءَ ومختصين» لآرائهم وزنٌ في عالم المعرفة.

وبالنسبة لما نحن بصدده فقد كان « لحضرموت » نصيب وافر من اهتمامات أولي الاختصاصات في كافة العلوم، مما أغنى « دراسة أوضاع حضرموت » بما لا مزيد عليه؛ سلباً وإيجاباً.

والباحثون المختصون -في أغلب الأحوال- يحملون هدفاً معيناً وغاياتٍ محددةً تتشكّل ا مادة البحث ونتائج التقارير، وقد يكون الباحث منهم راضخاً لرؤيةٍ فكريةٍ أو سياسيةٍ محددةٍ، كل هذا يشكل مادة التحصيل العلمي لمقتضيات الدراسات العلمية.

وبطبيعة الواقع تكون الدراسة والبحث رسماً أو رصداً آلياً لظواهر المعلوم من حركة الأفراد أو سلوك الجماعات أو استقراء النصوص والنقوش أو السلوك الاجتماعي المشاهد، وكثيراً ما تستطيع العقول الباحثة تكريس هذه الاستقراءات لاستنتاجاتٍ معينةٍ يكون محصلها: النيلُ من «الجهة المراد تناولها» وفْق السياسةِ المرسومة للاستقراء،

ويكون هذا غالبها في ثمرات أقلام المستشرقين ومن نهج منهجهم الاستقرائي الموجـه على محورين:

١- تقرير حالة الجهل في الواقع وآثار انتشاره.

٢- بثّ روح العداوة وتكريس الفُرقة من خلال التناول الذكي.

وقد لُوحظ هذا الاتجاه في العديد من كتابات المؤرخين والباحثين، ومنها ما قد ورد في تقارير كتاب « اليمن كما يراه الآخر » .

فحضرموت- كما عبر عنها « ألكسندر كينش » من جامعة إكسـتر ببريطانيـا «توفر للمهتمين بالدراسات الإسلامية مجموعةً متنوعةً من مواضيع البحث العلمـي، كل واحدٍ فيها جدير عبر ذاته بالدراسة والتحليل [1]» .

ونعتقد من وجهة نظرنا ونحن نتطلع منذ الوهلـة الأولى إلى هـذه الاهتمامـات الاستشراقية بالبحث العلمي أ ا ربما قَربت أفهام الأجيال إلى هدفٍ علمي محددٍ وغايةٍ بحثيةٍ شريفة، ولكن سرعان ما يتبخر هذا الأملُ عندما يتتبع الملاحظُ اختيـار بعـض المواضيع وأسلوب التحليل لموادها الاجتماعية، فهذا كتاب « اليمن كما يراه الآخر » يختار الباحث فيه -والذي نحن بصدده- موضوعاً حساساً فيكتب عنه قائلاً: « لـيس من المبالغة القول بأن مجرد أن يجد الباحث نفسه في هذا الجزء من الجزيرة العربية فإن انتباهه سيتركز مباشرة على ظاهرة تبجيل قبور الأولياء » .

ونحن نرى أن « ظاهرة تبجيل قبور الأولياء » قضيةٌ دسمةٌ للمدرسـة الاستشـراقية باعتبارها أساس المعركة بين « الكفر والإسلام »،

وأن الكافر الغربي والشرقي إنما شغلته في دقائق تركيبات وعِيه المعاصر قدرةُ هؤلاء الصالحين في العصور الماضية على غزو العالم بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى صـارت

(١) « اليمن كما يراه الآخر » ص ٣٠٧.

ظاهرةُ تبجيل مواقع قبورهم صفةً متلاحمةً من المسلمين التقليديين الـذي تـربطهم أواصر المذهبيةِ وآل البيت والتصوفِ.

ولهذا أفرزت هذه المراحل الجديدة تلاحم المدرسة الحديثة إلى جانب الاستشـراق والصليبية لحرب إبادةٍ وطمسٍ كل المعالم والآثار المبينة ذكرى أو حوليات الصالحين.

إن التضافر المشترك بين « المدرسة الاستشراقية - والمدرسة التنويرية » أمر خطـير للغاية في تقديرنا لمسيرة الفكر الإسلامي المعاصر، حيث تتحد أساليب طرح المدرستين عبارةً وحبكةً واستدلالاً وتخالف تماماً أسلوب وعبارة ورؤية المدرسة التقليدية بكافـة نماذجها، ومن هنا بدأ الانفصام في شخصياتِ المدرستين، وبـدأت قضـيةُ التـبرزخ والالتصاق السلبي بمدارس الغثاء العالمي.

إن مسألةَ « البحث العلمي الحِيادي » يلزم المتناوِلَ أن يسترضي الجميع من خـلال الأمانة العلمية في النقل والتعليل، ويتجاوز أسلوب الافتعال والانفعـال المـؤدي إلى تصادمٍ معينٍ بين مرحلتين أو جيلين أو رؤيتين داخل الحظيرة الإسلامية.

فالحظيرة الإسلامية تتسع لأسلوب التحليل والتعليل والنقد الإيجابي، وتـرى أنـه ضروري لتقسيم المراحل والأفراد والتوجهات الفكرية.

أما الاستعداء من جهة والاستعلاء من جهة أخرى « فمادةُ صراعٍ دفينٍ » تسـتغلّه النفوس المغرِضةُ باسم العلم للتشفي من الأطراف، أو ليكون طرفاً لتجديـد الـرؤى الجاهلية المقيتة.

نلاحظ مثلاً أسلوب تناول المؤلف المشار إليه لمقاله المسمى «زيارة أضرحة الأولياء في حضرموت» وكيف سيدخل إلى تحليل هذه الظاهرة من خلال « نفثات السموم » المؤدية إلى تشويه المدرسةِ التقليدية مدرسةِ آل البيت، وإعطاء المرحلة صِبغةَ الفوضـى الاجتماعي المتناهية، فيقول بادئ ذي بدء:

«من بين الملامح المميزة لتاريخ حضرموت هي الفوضى القبلية، وما نتج عنها مـن غياب الاستقرار السياسي» .

وهذا يشير به إلى أن ملامح التاريخ الأساسية هي ما بين «قضية تبجيـل قبـور الأولياء + الفوضى القبلية»، وكأ ما نتيجة غياب القرار السياسي، مع العلم أن كثيراً من البلاد التي يحكمها قرار سياسي اقتصادي لا تتمتع بما سمـاه «الاسـتقرار»، ولم تتجاوز مشكلة الفوضى القبلية وعادات تبجيل قبور الأولياء، وإن انعـدمت هـذه لسببٍ أو آخر فلابد أن يكونَ في المقابل مشكلةُ تبجيل المال وأهله والبنوكِ ومواقـع الربا الحرام والفوضى الأخلاقية والاجتماعية والتسيب الوظيفي.

والحقيقة التي تحتاج إلى الإبراز والتحليل «هي الربط بين مـا أسمـاه بالفوضـى القبلية - وعدم الاستقرار السياسي»، والحالة العامة للمنطقة العربية والإسـلامية في ظل الأوضاع المهترئة.

فحضرموت جزءٌ من اليمن، واليمن جزء من دولة الخلافة، والاضطراب الذي هيأ الفوضى القبلية وأشعلهما كان شذوذ القاعدة، ومن أهم عواملـه ضـعف الدولـة المركزية ذا ا، وضغوط الدول الأوروبية على «تركة الرجل المريض»، وأطماع دعاة التقدم والتحرر في الأوطان العربية، وبروز سياسة القوميات والعصـبيات، وحركـة اليهود العالمية ومؤسسا ا.

وماذا عسى أن تكون حضرموت في هذا الخضم الهادر من السلبيات؟

وأضف على ما ذُكر احتلالَ الإنجليز لعدن، وما نتج عنه من سياسات وتناقضـات لإنجاح استراتيجية «فَرِق تسد» التي حركت عواطف البداوة والحضـر، وسـهلت بالمال والجاه عواملَ المنازعة والمقارعة في البعض، وعواملَ الاستجابةِ والذلـةِ للكـافر

عند البعض الآخر، وتحولت الفوضى القبلية إلى أتون صراعٍ بقرارٍ سياسي استعماري ورعايةٍ سياسيةٍ عالميةٍ.

كل هذا وأمثاله أدى إلى بعد ذلك إلى ما وصفه الكاتب بقوله: « لقد أدى غيـاب الحكومة المركزية إلى تمتع رجالُ القبائل المسلحة عملياً بسلطةٍ غير محدودة واعتباطيـة في الغالب، ونتج عن هذا غياب الاستقرار السياسي والاقتصادي، الذي أعاق بدوره تطور العلاقات التجارية بين أجزاء مختلفة من البلاد، وأعاق أيضاً نمو الإنتاج الزراعي فيها » (١).

لقد حاول المؤلف أن يضع السياسة البريطانية « معادلَ استقرارٍ » في المنطقة، ومجلبةً للأمن فيها، حيث قال: « ولقد تمكن القبائل المسلحون والمنتمون إلى وحداتٍ سلاليةٍ متعددةٍ السيطرة على إقليم حضرموت منذ أواخر العصور الوسطى وحتى الثلاثينـات في هذا القرن، عندما نجح البريطانيون في بسط نفوذهم على جميع أنحاء البلاد » (٢).

قلت: ودخول بريطانيا إلى جنوب اليمن آنذاك كان في حد ذاته أطماعاً توسعيةً لا بناء للمنطقة وجلب استقرار لها، وما صنعته في المنطقة من معاهداتٍ وحمايةٍ إنما كان جزءاً من استراتيجية الاستعمار العالمي، وفصل المنطقة عن قرارها السياسـي العـالمي المتمثل بدولة الخلافة آنذاك، ولم يكن عاملاً مساعداً للاستقرار.

ولهذا وذاك جاءت المرحلة التي عبر عنها المؤلف بقوله: « وفي ظل هذه الظـروف اضطر المجتمع الحضرمي لخلق المؤسسات القادرة على التعويض جزئياً على الأقل عـن

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق.

غيابٍ دولةٍ فعالةٍ ومستقرةٍ، حيث مالت هذه المؤسسات في حضرموت إلى التطـور وفقاً للنمط العربي المعروف والمتمثل في (منطقة مقدسةٍ) على غِرار الحرم المكي»[١].

إن النمط الاجتماعي العربي الجاهلي يكاد أن ينعدم عن الواقع العربي الإسلامي بعد انتشار الإسلام، وحتى الحوط والمواقع الآمنة التي اختطها القبائل كما أسمـاهم لـيس تجسيداً للأنماط العربية الجاهلية بقدر ما هي إفراز طبيعي لتأثير الشريعة الإسلامية على المواقع المتأثرة بالإسلام ودعوته الحقة إلى التكافل الاجتماعي والتعاون على فعل الخير.

وهذا ما تؤكده الشروط والوثائق المقيدة والملزِمة للأفراد والقبائل في هذه الأنمـاط الاجتماعية.

إن سياسة الاستعداء من مؤلفي هذه المقالات يلزمهم ربـط المنطقـة الإسـلامية بالجاهلية العربية، وهم يجعلون من « الاستقرار السياسي » حجةً لهم في تصوير ا تمع السليم والعكس بالعكس.

والبحث العادل إنما يبرز تأثير الحياة الإسلامية على الواقع الاجتماعي وتأثر الغالبية بمبادئه، ومن ثم تصبح كافةُ الإفرازات الاجتماعية عند غياب القرار السياسي المركزي معالجاتٍ إسلاميةً محليةً لتفادي الفوضى القبلية والاجتماعية، نابعةً من أصالة المسـلم ومدركاته الفكرية في اتخاذ قرار الإصلاح الاجتماعي.

إن تفسيرنا الواعي لمقتضيات التخلف الاجتماعي إبان مرحلة غياب الدولة المركزية يبرز بيقين أن «الحُوط والحِمى التي برزت في هذه المرحلة» ليست كما علّله المؤلـف «وفقاً للنمط العربي المعروف»؛ لأن «الحرم المكي ذاته» الذي ضرب المؤلف به مـثلاً عربياً إنما جاء من واقع التدين القديم « الملة الحنيفية »، ولم يأت كإفرازٍ عربي محلـي، وإنما جاءت هذه الحوطة « نقلةً إسلاميةً جديدةً » ومحاولاتٍ اجتماعيـةً ذات صـبغةٍ

---

(٣) المصدر السابق.

روحيةٍ مرتبطة بالإسلام ومبادئه، وهو الداعي إلى التكافل والتراحم «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله.. »، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد.. »، ﴿ لا خير في كثيرٍ من نجواهم إلاّ من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناسِ ﴾.

ولهذا نرى المؤلف عندما أخطأ التقدير في تعليل ظاهرة « الحوط » أخطأ في وظائفها الشرعية، وطعن في سلامة القصد الذي من أجله حوطت هذه الحوط، وإن كان قد أفاض بعد ذلك في تفصيل فوائدها الاجتماعية الأخرى.

إن المس الخطير الذي نحن ندافع عنه هو قضية الدين والتدين، ونرى أن هؤلاء المفكرين والمستشرقين يركزون دائماً على هذه « المسألة » لتحليلها وفق سياستهم العالمية « فرق تسد »، واقرأ معي ما يقوله المؤلف: « وفي حضرموت يطلق على هذه المؤسسة اسم « حوطة »، وهي التي تقدم حمايةً مؤقتةً لزوارها حتى ولو كانوا مجرمين هاربين من العدالة، إذ يعتبر كل ما يقع داخل حدودها تحت الحماية الإلهية » [1].

وهذا التحليل غريب في مبناه ومعناه، فالحُوطُ لها وظائف اجتماعيةٌ متعددةٌ، من أهمها توفير الحمايةِ لحركة التجارة ومنتجات الحرف، وكونها موقعاً لتبادل المنافع، وليست وظيفتها كما عبر المؤلف حماية المجرمين الهاربين من العدالة، إذ لو كانت هناك عدالة في المجتمع لما أُسست الحوط ولا قامت وظائفها، بل إن « الحوط » ذاتها لم تؤسس إلا لحماية العدالة وإبراز أشرف نماذجها، وهو الأمن في المجتمع المضطرب، و« الحماية الإلهية » التي عبر عنها الكاتب بصورة مشوهة إنما هي تخويف العلماء أو الصلحاء لأهل البطش والظلم بمصيرهم المحتوم في الدنيا والآخرة؛ ولكن الدراسة التي

---

(١) المصدر السابق.

قلّب «المؤلف» أسلو ا تبعاً لعقيدته ورؤيته جعلتِ « الحُوطَ ومن أسسـها » موقـع الرغبات، وموقع حماية ا رم باسم الإله.

وهكذا يكون التحليل العلمي لدى أمثال هؤلاء، فها هو يستطرد في سرد أحـوال «الحوط» فيقول: « كذلك فإن المكانة الدينية للحوطة في حضرموت تستمد كما هـو في الجزيرة العربية تقريباً من السلطة الروحية الرفيعة التي يتمتع ا مؤسسها التاريخي أو المزعوم الذي يعتقد بأنه رجل صالح أو (ولي)، ووفقاً للتوقعات الشعبية يفتـرض أن يبقى المؤسس -وهو في العادة أحد أفراد عائلة تتوارث الزعامة الدينية- محايداً أو غير مسلح على الدوام في وسط الصراعات القبلية والقرابية العنيفة، وتبعاً لتقاليد متعارفٍ عليها فإنه يهاجر من بلده الأصلي إلى بلد بعيد ليستقر فيها معيناً حدود ما سيصـبح حوطةً جديدة، فإذا أوفى ذه المتطلبات فإنه يتوقع دعوةَ القبائل المحلية لـه ليكـون حكَماً بينها في نزعا ا المتعددة، وعليه فإنه سيلعب دوراً رئيسياً في مفاوضات السلام بين القبائل المتحاربة والتي تعيش في الأراضي المحيطة وتعترف بسلطته التي يشار إليهـا بلفظ (جاه) » [1].

ولفك رموز هذا التحليل المتشابك نود أن نقف بأمانة أمام العبـارات الملتويـة، كقول الكاتب:

(١) « مؤسسها التاريخي أو المزعوم...» أسلوب تشكيك يقوم علـى التعـريض بمقامات المسلمين والنيل من تراتبهم الاجتماعي، ثم تحريض الفئات المنشقة أو الرؤى التنويرية كما تسمى على الطعن في مصداقية هذا التأسيس وفوائده.

(٢) « ووفقاً للتوقعات الشعبية » يجعل الباحث مسألة طرح السلاح من «عقـلاء ومناصب الحوط» مسألةَ مصلحةٍ متفقٍ عليها في الواقع الشعبي، والحقيقة غير ذلـك،

---

(١) المصدر السابق.

فكسر السيف والامتناع عن حمل السلاح مبدأٌ أساسـي شـرعي لـدى مدرسـة حضرموت ومناصبها ينبع من تعاليم الإسلام لا من مقتضيات الواقع الشعبي، وإذا ما أردنا أن نعرف موقع الواقع الشعبي من هذه الإجراءات فإنما يأتي احتـرام الشـعوب للعلماء والمناصب من خلال التدين وتمثيله حق تمثيلٍ في حياة الشعوب.

وهذا ما فرض على الجميع تقبل إقامة الحوط والمحميـات الشـرعية في الواقـع المضطرب، خلافاً لسياسة «المحميات» التي فرضها الكافر بعد الاحتلال، فهي محميات فُرِضت على الواقع الشعبي، وأقيمت على أساس « الاستعداء » على الأوطان، وانتزاع حقوق الآخرين، وإشاعة مبدأ « فَرِق تسد » بين شعوب المناطق.

إن التحليل السلبي من حملة الأقلام للأعمال الجليلة -وخاصة تلك التي أسهمت في صنع الاستقرار النسبي في الواقع القبلي- والنظر إلى التراتب الاجتماعي المتلائم مـع الأوضاع السائدة على ما فيه من قصور وتجاوزات هو ألطف حالاً من وجهة نظرنا، وأقرب إلى المعالجة عند البحث عن أسبابها؛ هو أفضل من الهـدم الاجتمـاعي غـير المسؤول الذي تعتبره الأقلام الباحثة « عِلماً وتحليلاً معرفياً »، فالخبراء العقلانيون مهما أوتوا من أسباب المعرفة الانتقائية فهم لا يحسنون التعليل الدقيق لكافة الأمور، وخاصة تلك الأمور المبنية على « سلامة التراتب الاجتماعي في الشرائح الإسلامية»، وخاصة في مسألة العلاقة النفسية والعاطفية، التي تعد أكبر عوامل الربط بين الفئات.

وحتى في حالة « التقييم » لفارق المسافة بين عدالة الإسلام ذاته وبين التجـاوزات التي تنشأ في الواقع المتحول بفعل الجهل وسيادة القبلية والتناقضات الاجتماعية، فهي لا تخول لباحثٍ «أنثُروبولوجي» أن يضع الأوليـاء والعلمـاء في مرتبـة الاسـتبداد والاستعداء على الواقع؛ إلا إن كان الباحث من ذات «العساكر» المسـتخدمة لهـدم الدين بالهجوم على أهله ورجاله، وإضعاف دوره في الواقع المتناقض.

وهذه وظيفة الاستشراق العلمية ووظيفة من نحا نحوهم من فصائل العمل المشترك، وهذا ما تفسره عبارات الكاتب التالية:

(١) « إن جزءاً من هذه الصفات يتجسد ويخلد في ضريح الولي الـذي يصـبح تدريجياً موضعاً للعبادة والزيارات الدينية يقوم ا السكان المحليون » .

(٢) « فغالباً ما يكون الولي منحدراً من إحدى العائلات الحضرمية التي تشـكل أعلى شريحتين في ا تمع، والمتمثلة في السادة، وهم أحفاد الرسول، والمشايخ، وهـم الأرستقراطية الدينية المحلية التي تدعي انحدارها من أصل نبيل » .

(٣) « يتكون ا تمع الحضرمي التقليدي من الشرائح التالية:

١- القبائل، أي: رجال القبائل المسلحون.

٢- الضعفاء، وهم التجار والفلاحون والحرفيون الذين يفتقرون إلى أصل قبلي أصيل ولا يحملون السلاح.

٣- الصبيان، وهم الذين يمارسون حرفاً محتقرة كالجزارين والحلاقين وحفاري القبور والموسيقيين.

٤- العبيد، وهم أحفاد الرقيق السود.

ومن الطبيعي أن الشرائح الأربع الأخيرة تفرز عدداً من الصالحين أقل بكثير مـن الشريحتين الأوليين، ثم علاوة على ذلك يبدو أن الأولياء من الصبيان والعبيد نـادرون للغاية في الوقت ذاته، وفي كثير من الحالات يكتنف الغموض أصل الولي»[1].

وهذا السياق المبني على الإثارة والتشفي من تركيبات ا تمع الإسـلامي ومحاولـة الزج بالشرائح الاجتماعية في أتون صراعٍ اعتقادي اجتماعي طبقي كافٍ لاعتمـاد

---

(١) المصدر السابق ص٣١٠.

المدرسة التنويرية ومن نحا نحوها في اتخاذه حجةَ الأخذ والتناول ضد المدرسة التقليدية وتراتب الواقع الاجتماعي القديم.

وإذا ما تتبعنا أساليب الدس والطعن والفتك بالمسلمين ستجد أن المادة الدسمة الـتي اعتمدها الكاتب هي مواقع الريب والشكوك ومواطن الجهل والتعفن الاجتماعي حتى أثناء المناسبات المربوطة بالصالحين والأولياء، بعد أن شابتها شوائب التمرحل ووردت عليها العادات الشعبية، التي تستغلها عناصر الفساد وتجارة الأجساد، فخذ مثلاً مـن استدلالات الكاتب:

« تصاحب الزيارة الرئيسية للمناطق المذكورة آنفا، بالإضافة إلى إقامة أسواق حية الكثير من الغناء والرقص الشعبي، مما يحقق أحيانا متعة كبيرة للزوار البالغين ذكـورا وإناثا، ووفقا للإخباريين الذين تحدثت معهم والمصادر المحلية المكتوبة يمكن أن تحقـق هذه المهرجانات متعة جنسية، وقد تؤدي من وقت لآخر إلى اجتماع غير مشروع مع الزوار.

إن مرتكبي الخطيئة يحاولون تبرير سلوكهم الآثم باللجوء إلى شفاعة الولي التي يعتقد أ ا تشمل كل الذين قدموا لزيارة ضريحه، (وحسب الاعتقاد الشعبي) يملك صـاحب الضريح القدرة على إبطال أو غفران كل الآثام المرتكبة من قبل ضيوفه » [(١)].

ولا نعلم فيما نرى ونعيش ونشهد من زيارات حضرموت الرسمية ما يبلغ فيه حال الزوار إلى هذا الحد الدنيء من الفحش، ولا من هذا المفهوم الخسـيس في شـفاعات الأولياء؛ اللّهم إلا إن كان هذا المعتقِد كافراً والعياذ باللّه، أو هو من جنس الحيـوان والبهائم، أو هي عادات جاهلية يمارسها قوم جاهليون لا علاقة لهم بالعلم والشريعة.

(١) المصدر السابق ص٣١٣ .

وما أن يفرغ الكاتب من استفراغ كيده المكذوب على الزيارات حتى ينبري لطرح التبعة على العلماء من جهة، ورفع شأن مواقف المدرسة التنويرية من جهة أخـرى، فيقول: «ولا نحتاج للتأكيد هنا بأن تلك التوقعات (المدنسة) -والتي تبدو أ ا تعود إلى ما قبل الإسلام- تلقى استهجانا شديدا من قبل الداعين المحليين إلى العفاف.

ومع ذلك فإن حالات الاستهجان ليست كثيرة على ما يبدو! [١] على الرغم مـن أن كتابات ابن تيمية -والتي تنتقد مسألة التقرب من الأولياء- معروفة لدى علمـاء حضرموت » .

وهذا الخلط المقصود يشير إلى أن المسألة مسألة علماء، وليست اعتقـادا شـعبيا، وكأن علماء حضرموت عبر تاريخهم قد جهلوا مسألة الحرام فصاروا يتسـامحون في «المتع الجنسية خلال الزيارات» ولم يعرف أحد منهم -وللأسف- حرمةَ الزنا في العالم بقرآن ولا سنة ولا مذهبية إسلامية حتى ظهرت كتابات ابن تيمية، وحسبي أن هنا « مربط الفرس »، ومن هنا تبدأ مسألة البدائل، ومن هنا تكشف الأوراق، ومن هنـا « يتهيأ العمل المشترك والتضافر الممنهج بين المدرستين »، وللأسف .

فالمدرسة التنويرية التي أشاد ا الكاتب ضمنا وأشاد بتعاليمها في الواقـع العـربي والإسلامي ناصبت العداء كافة المظاهر التقليدية حقا، وساهمت في إشاعة الإفك عن صالحي الأمة ومظاهرهم الروحية، ولكنها بيقين قـد خـدمت حليفتـها المدرسـة الاستشراقية في السكوت عن بيوتات الرباء الحرام، ودون أي حرج شرعي يذكر.

---

(١) هكذا يكون العبث بالقارئ وملاعبة ذهنه، فحينا يعتبر الزيارة تحقق متعة كـبيرة للـزوار البالغين، قد تؤدي من وقت لآخر إلى جماع غير مشروع، ثم يرجع في موقع آخر ليقول: فإن حالات الاستهجان ليست كثيرة على ما يبدو.

ولا زالت هذه المدرسة البارة بالعلاقات الودية بين « أكلة القصعة » حـتى اليـوم تناصب المظاهر التقليدية العداء، وتنشر عن « العلماء والأولياء وآل البيت » ما تتقزز منه العقول السليمة، وتنفر منه ضحايا المرحلة عن استتباع المدرسة القديمـة، و ـتم كثيرا بإشاعة الفحشاء والمنكر في الذين آمنوا بالـدعايات والسـعايات.. ولكنـها وللأسف لا تتجاوز حتى مرحلة حسن الظن ا لدى « المدرسـة الاستشـراقية » في سكو ا عن مظاهر الخلاعة والفحشاء والقنوات ودور السينما والفـتح الإعلامـي الغربي والشرقي في داخل العواصم التنويرية.

إن انعدام « العلاقة الروحية » بين الكاتب والإسلام يفقده القدرة علـى معرفـة الحكمة الإلهية في مجريات الإعجاز والكرامة، بل وحتى السحر وانفعالات الظـواهر، بل يفسر كل هذه الانفعالات ومتعلقا ا بالعقلانية ا ـردة من جهة لتشويه الصـورة الشرعية لدى الصالحين في الصالحين من جهة أخرى.

ولهذا يفسر مسألة الخوف من الأولياء بقوله:

إن الخوف من انتقام الرجل الصالح يفسر سبب أخذ الحضرميين العهـود وعقـد الاتفاقيات داخل المزار المبجل، أي: إن الأطراف المتعاقدة تدعو الولي ليصبح شـاهدا على الاتفاق » (١) .

والمعلوم أن الخوف قاعدة في البشرية من كل مجهول، وبالنسبة لعقيـدة الإسـلام فالخوف من اللّه أصل من أصول العقيدة، والذين يخافون نقض العهود بعد إبرامها لا يخافون انتقام المثل والشبه، وإنما يخافون العقاب المترتب على النقض، وإن كان العهد قد وقع في قبة ولي.

---

(١) « اليمن كما يراه الآخر » ص٣١٣.

وإذا كان هناك جيل بلغ به اعتقاده في صالحي الأمة أن أسهم اعتقـاده ذلـك في تأمين الطريق وإصلاح ذات البين من داخل قبة الولي فهذا خـير عظـيم ومرحلـة مباركة.

وإنما يكون الاستغراب الواسع من عهود وعقود عقدها الحضرميون وغيرهم بعيـد مرحلة الاستعمار ليست داخل المزار المبجل، وإنما تحت القصور وإدارات الكفار وبين يدي عناصر الكفر والابتزاز، وبالطبع لم يكن فيها أدنى علاقة شرك القبور، بقدر مـا صارت علاقتها أقوى بشرك الكافر الحربي وسياسة المسخ العالمي المسعور.

إن قضية الاستسقاء وإنزال المطر مسألة لا يعرفها الباحثون الكفـار، ولا ترضـخ لقواعد العلم النظري، ومهما حاول الكاتب وأشباهه أن يعللوا هذه القضية فلن يصلوا إلى وضوح وبيان، ولهذا تلزمهم عقولهم المجردة أن يعتقدوا في المسلمين عبـادة القـبر وطلب الغيث من الحجر والشجر لا من رب البشر.

ولهذا عبر الكاتب عن حيرته بقوله:

« ويبدو أن بعض الأولياء يعتبرون صانعين للأمطار بدون منازع، ويمكن الاستدلال على ذلك من ألقابهم « مولى مطر » و « بياع السيول »، وبطبيعة الحال فـإن طلـب الاستسقاء من المزارات يثير نقمة واستهجان العلماء ذوي العقلية السلفية، باعتبارهـا طقوساً غير إسلامية، وانتهاكاً واضحاً لمفهوم التوحيد الإلهي » [(١)] .

والمتأمل منا بالطبع لهذا الخلط المقصود و« الحبك المعهود » دائما يدرك أنه يراد به وضع المدرسة التنويرية في موقع الصدارة وسلامة المعتقد، وهي شهادة يفتخر بها مـن الكافر، إذ لو شهد للتصوف بسلامة التوجه لكان اتحادا شركيا بين عبـادة القبـور وعبادة المسيح من وجهة نظر الآخرين؛ ولكنه قد اقتنع بمسـألة «الأوليـاء صـانعي

---

(١) المصدر السابق ص٣١٤.

الأمطار» بدون منازع، وأنه لا يقف أمام هذا الاعتقاد الشركي أحد غير العلماء ذوي العقلية السلفية.

وأعتقد أن العلماء ذوي العقلية السلفية يؤمنون بأن « مـولى مطـر » و «بيـاع السيول» رجال صالحون، كان الناس يعتقدو م في حيا م فيطلبون منـهم الـدعاء فتحصل من اللّه الاستجابة، وليس «مولى مطر» ولا «بياع السيول» « قـبراً معينـاً » لاستـ ال الأمطار، وإلا فستكون زيارة « بياع السيول » بـالحجز المسـبق ، وربمـا صارت لها مكاتب وسماسرة وأرصدة في البنوك والمصارف.

ولكن الخلط العشوائي المقصود يحبك المؤامرات الفكرية؛ لتنتج عنها محاكمة صورية لمن قرر ا امهم بالشرك السياسي لا الشرك الأساسي.

وهذا نوع من التضافر بين المدرستين، ويبدو هذا التضافر أكثر جلاء ووحـدة في قول المؤلف ص٣١٦ :

« ومع تطور الفكر الإصلاحي الداعي إلى العودة إلى نقاء الإسلام الأول في أقطـار إسلامية أخرى احتدم الجدل حول (شرعية) العبادة في المزارات، فبدأ بعض الفقهـاء المحليين العمل وبنشاط عن ثني الناس عن هذه الممارسة (الوثنية)، ولقد عزا معارضـو هذه الممارسة مركزيتها في الحياة الدينية الحضرمية إلى استمرار محافظة (الأرسـتقراطية الدينية) المحلية عليها وبالتحديد عائلات السادة، وبدرجة أقل عائلات المشايخ، ويرى السلفيون بأنه ما دام أعضاء أعلى شريحتين اجتماعيتين هم المرشحين الأوفـر حظـاً لمنصبٍ مقدسٍ بعد وفاة الولي فإ م معنيون بشكل رئيسي باستمرار هذه الأهواء غير الإسلامية » .

هكذا تتناصر المدرسة الاستشراقية ومدرسة التنوير الحديثة ضد الصوفي، والمعلوم أن ما سماه «شرعية» العبادة في المزارات هو مجرد عادات اكتسبتها هذه المزارات، وليست عبادة كما تقررها المدرسة وحلفائها.

وهذه العادات ظاهرة مشتركة في جميع أقطار العالم الإسلامي منذ العصور القديمة، وليست من فترة قريبة، وهي تتدرج بين طرفي الإفراط والتفريط، كما أنها ليست محصورة على التراتب الاجتماعي الحضرمي ولا وليدة له، وإنما هي ظاهرةُ مرحلةٍ، وكل جيل يرعى هذه العادات حسب ارتباطه بقواعد المرحلة ذاتها وأسلوب المعرفة والإدخال الفكري فيها.

وبمقدار إزاحة آثار المرحلة وأفكارها السائدة يتقلص التأثير المعرفي والاهتمام بالعادات الاجتماعية المتوارثة، بل قد يتقلص الاهتمام بالدين كله كما حدث إبان مرحلة الشيوعية في اليمن.

ومما يؤكد تضافر « المدارس الفكرية المتنوعة » «تنويريةً دينيةً واستشراقيةً وشيوعيةً» -وهي جميعها وليدة مرحلة الغثاء بعد الحروب العالمية وتقسيم تركة الرجل المريض ضد المدرسة التقليدية بعمومها- مما يؤكد ذلك ما أبرزه الكاتب إبان ظهور الحزب الشيوعي الاشتراكي في اليمن فقال: « في مرحلة لاحقة من تاريخ حضرموت يبدو أن المهاجمين المحليين للمعتقدات التقليدية قد وجدوا تأييداً في أوساط الماركسيين المنتمين للحزب الاشتراكي اليمني الذين بذول جهوداً عظيمة للحد من ظاهرة تبجيل الأولياء وطقوسها إن لم يكن لإزالتها أصلاً، وقد أدت جهودهم تلك إلى هدم وخراب عدد من مراكز زيارات الأولياء الهامة كتلك التي كانت في القطن والشحر، فجردت هذه وغيرها من المراكز من جوهرها الديني عمداً ودنست حرمتها وحولتها إلى أسواقٍ سنويةٍ ومهرجانات شعبية، وفي هذا الصدد يبدو أن منظري الحزب قد عملوا يداً بيد مع أكثر المصلحين الدينيين راديكاليةً، فقد أدت جهودهم المشتركة في مدينة القطن في

آخر الأمر مثلاً إلى انخفاض الزيارة الشعبية لمقام أولياء عائلة المحضـار، وهـم مـن السادة»[1].

هذا هو الشغل الشاغل للباحثين، ومن شغلهم هذا أيضاً تبرز ملامـح تحالفـات المدارس ذات الهدف الواحد، وتكاد الدراسة التي استهلكت أكثر مـن ١٤ صـفحة تدور حول هذا المحور، وملابسات الأضرحة في الزيارات ومقامات المناصب وتشويه ثقافتهم الإسلامية والدفع بالثقافة التنويرية إلى موقع الصدارة للإسلام من خلال «هذه الزاوية المعتمة» .

إن حقيقة الاستهلاك الفكري لمثل هذه الأمور يشير بوضوح إلى :

- أن تضافر الاستشراق مع حلفائه المتنوعين والمتلونين يمثل كتلةً واحـدةً وصـفاً مرصوصاً أمام «المذاهب الإسلامية وآل البيت والتصوف»،

- وأن هذه الشرائح الثلاث مستهدفة استهدافاً موجهاً خلال مرحلـةِ التنـوير.. المرحلةِ التي وصفها المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم بأ ا « مرحلة الغثاء »،

- وأن على « علماء المذاهب والمحبين لمدرسة آل البيت والتصـوف » أن ينفضـوا الغبار عن أعينهم ليعرفوا مكا م الحقيقي في هذا التآمر المدجج، وكيـف يجـب أن يتفهموا مسيرة التمرحل فيقفوا بشجاعة أمام أنفسهم لاتخاذِ موقفٍ وسطٍ بين الإفراط والتفريط.

وبموقفهم أمام أنفسهم على هذا المبدأ تسقط أوراق الفَعلَة الذين لا يحلو لهم غـير حمل معاول الهدم في البنيان الإسلامي والتركيب الاجتماعي المتوازن، وقد قال تعالى: ﴿إِنّ اللّه يدافِع عنِ الذِين آمنوا إِن اللّه لا يحِب كُل خوانٍ كَفُورٍ﴾ .

---

(١) المصدر السابق ص٣١٨.

ضوابط المحاورة والمناورة
مع عشاق الجرح لأولياء اللّه
في المرحلة المعاصرة

تعليقات على كتاب «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه، وبعد فهذه العبارات كُتبت لأتباع مدرسة حضرموت بالذات، ســواء كانوا من آل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، أو من محبـيهم وأتبـاعهم وأشياعهم، أو من عموم الخلق الذين ورثوا قواعد علمهم وعادا م وترتيب وظـائف حيا م الدينية والدنيوية على ما كان عليه الأوائل.

إن الحق هو الحق، ومن كان من أهله فهو السيد المطاع، ولكن هناك فرق كـبير بين الحق القائم بشواهده وبين الحق المدبلج المشرب بشِنشِنة كائده.

ومدرسة حضرموت ليست فقيرة عن المعرفة وجذور الأسانيد في الشريعة والدين، بل هي أكثر ثباتاً من كثير من مدارس العصر القائمة على سياسة التحولات وحمايـة المظلات المحلية والعالمية، سواءً بصورة مكشوفة أو بأساليب مبطنة.

والذين يحلو لهم الاندفاع إلى أحضان الرؤى والنقولات الغريبة عن الأمة المحمدية، ويرضون لأنفسهم بعلم أو بمعادل آخر أن ينزِلُوا إلى سوق العرض والطلب في معركة الأسواق السياسية « آلَ البيت النبوي بحضرموت خاصة » يغامرون بآخر أوراق المراقبة للّه في آل البيت ليقدموهم بواسطة الأقلام وسياسة الأعلام قرابين جديدة على مذابح الاستعمار والاستهتار والاستثمار إكمالاً لما سبق من عمـالات المشـاريع الغربيـة والشرقية في المنطقة، التي نادى من داخلها شباب وكهـول وجمهـرة مـن أبنـاء

حضرموت وغيرها لإسكات العلماء وإخراس صوت الأتقياء خوفاً مـن الكهنـوت ورائحة الامبريالية وعفن أوراق البنكنوت، وتبرعت أقلام وأفواه وأقـدام للتشـهير، وحمل صوت النكير ضد ما أسموه تخلف السادة وخطرهم الأكيد على منهج التقـدم ومنهج الاشتراكية العلمية، وباتت مدرسة حضرموت مهددة في شخوصها ورموزها (البسطاء) حتى سحب منها موقع التأثير الاجتمـاعي والعلمـي ودخـل الجـيش الاستعماري ومليشيات النظام الاستهتاري من بعده إلى كافة المواقـع الاجتماعيـة والعلمية والتربوية بديلاً عنها، وامتلك المواقع السياسية والاقتصادية وغيرها، ولم يبق لمدرسة حضرموت في هذه المعارك الباترة غير الحفظ الإلهي وحده.

ومن هذا الحفظ الإلهي أبرز اللّه من جديد همة جيل الإحباط وشباب المدرسة في كل زمان كي يردوا كيد الاستعمار ومسخ الاستهتار على أهله، ويسـتفيدوا مـن فسحة مرحلة الاستثمار كما استفاد منها الكفار وغير الكفار في المنطقة الإسـلامية فيما يعنيهم من شؤون سياسا م وعلاقا م، ولم تكن مدرسة حضرموت بجاهلةٍ خطر المرحلة الجديدة على قواعدها ومبادئها، ولا بجاهلة أيضاً ما ورد عليها مـن طـرفي الإفراط والتفريط خلال مراحل التحول وامتداد مشاريع التمول، وليست في حجـم الذلة والخوف حتى ترضى لنفسها الإهانة والمهانة فتقبل الإفك المبرمج، وتخشى مـن ألسنة وأقلام الكذب المروج.. لا واللّه، فمدرسة حضرموت قادرة والحمـد للّـه أن تكشف أوراق مرحلة الغثاء كله، بدءاً بالجذور الغربية التي زرعها الاسـتعماريون في المنطقة الإسلامية بعمومها، و ايةً بالطفيليات والفيروسات المعرفيـة الحديثـة الـتي أحدثتها ووضعتها تشكيلات المراحل المسيسة، وجعلت منها بديلاً استسلاميا يشتغل ببتر وقطع الجسد الإسلامي بعضه عن بعض، ويتحوصل داخل مظلات المال ومشاتل الانحلال يمهد للدجال، ويحارب بوعي أو بغير وعي من بقي من علمـاء وصـلحاء المدرسة التقليدية.. مدرسة التقوى والاستقامة.. خوفاً من عودة مواقعها الاجتماعيـة

وتأثيرها الإسلامي المحض إلى ما كانت عليه قبل مراحـل الاسـتعمار والاسـتهتار والاستثمار.

والحق يقال: إن عودة مدرسة حضرموت أو غيرها إلى ما كانت عليـه مسـألة أقرب إلى الخيال، ولكن المشكلة لا تقف عند حملة الأقلام ومصنفي كتيبات الإعلام، وإنما القلق والخوف آتٍ من «سياسة الدولة المتآمرة» صـانعة التفريـق ومسـتثمرة أسواقها.

فالدول الاستعمارية لا تخاف من صوفي الغثاء، بل تؤيده على غيره، ولا تخشـى من سلفي وحزبي الغثاء، بل هي تموله وتحركه لضرب أضداده، وربما تجهـز آخـرين لاستلام دور الشرطي الموجِه من جديد حرباً جديدة، ولكنها تخاف من « يقظة الأمة عموماً إلى خطر التفرقة فتجتمع »، وتخشى أن يتعرف المسلمون على سر الخطورة في «سياسةُ فَرق تسد » فتتجاوزها إلى القواسم الإسلامية المشتركة، أما غير ذلك فما هو إلا مسمار خلف مسمار يدق في نعش الأمة المتخاذلة، وعار يلحقه عـار في جـبين العلماء والحكام وسماسرة الأسواق المتداخلة.

ونعتقد ونعلم يقيناً أن ما أفرزته مشاتل المعرفة العلمية حول مسـائل الاعتقـاد والاقتصاد سواءً في عواصم الدول ا ـزأة بعد الاستعمار أو في مؤسسا ا المتفرقـة في سائر الأقطار، أو داخل إدارات الأنظمة العربية والإسلامية المسيسة بعد سقوط قـرار الخلافة الإسلامية جزء لا يتجزأ من تراث الغثاء المعبر عنه في صحيح الأحاديث النبوي بـ« نقض العرى » : « لَتنقَضن عرى الإسلامِ عروةً عروةً، كلمـا نقِضـت عـروةٌ تمسك الناس بالّتي تِليها، أولهُن نقْضاً الحُكْم، وآخِرهن الصلاةُ ».

وما مِنيتِ الأمةُ الإسلاميةُ في شيءٍ عبر تاريخها الطويل مثلما مِنيـت في اشـتغال عناصر التسييس داخل مشاتل الحكم أو المتطلعين إليه بنقض العرى في الأمة، حيـث

يلهون المسلمين عن عيو م في الحكم والاحتكام بإثارة العصبيات والعرقيات والخلافيات، وتحجيم عيوب الضد، وبذل المال في تأصيل ظاهرة الكتابة ضد قضية ما، ثم الاشتغال بما قاله المعادل الآخر من رد، وهذا وحده كافٍ لحجز أوسع شرائح ا تمع داخل أروقة المتناقضات، وإضعاف الصوت الإسلامي المتفرق أمام سياسة الشر والإفك ا تمع.

إن إثارة كاتب في مرحلتنا المعاصرة قضية زيارة نبي اللّه هود مثلاً كدليل على وثنية مدرسة حضرموت، وحشد العديد من متناقضات العادات والاختيارات التي تدخل تحت دائرة طرفي الإفراط والتفريط لتكون مادة الجزم بالضلالة والانحراف من الإسلام والتوحيد الصرف إلى ما تسميه مدرسة النقض بالشرك والبدعة؛ إن ذلك لمسألةٌ مثيرةٌ للاستغراب والحيرة من جهة، ومن جهة أخرى فهي شِنشِنةٌ أعرفُها من أخزمٍ.. فمن هذا الذي لا يدرك مدى التطاول والاستغراق البدعي الذي أخذت به هذه المدرسة وأتباعها في «نقض العرى» بدءاً من الحكم و اية بالصلاة؟

ولهذا يعيب على أمثالنا بعد هذا الإيضاح المختصر أن نكافئ المتطاول ونشغل أوقاتنا بالرد على المتحامل، سواءً كان داخل المنطقة التي كتب فيها الكتاب ونقلت منه صورة أو كان من خارج المنطقة حيث يجد هذا الكتاب موقعاً عالياً، ويجد الكاتب مكانة علمية وإعلامية تتناسب مع منهجية التقرير وقسوة فاعليته في ضحايا الغثاء والتسييس المعاصر.

ويليق بنا أن نلفت نظر العلماء والدعاة داخل مدرسة حضرموت إلى وجوب الاستفادة من حيثيات المراحل وما تعرضت له المدرسة منذ عهد الاستعمار من حرب خفية أو معلنة أو ظاهرة أو مبطنة، وأن نفهم لغة العصر وقضية المراهنة بين الإسلام والكفر وما تتعرض له المنطقة الإسلامية بعمومها منذ عصر الاستعمار من التطبيع

والتطويع وسياسة التجويع والترويع، وإلى أي مدى وصلت إليه الأمة من داخل هذه المشاريع المتلاحقة مرحلة بعد مرحلة إلى أن يقضي اللّه أمراً كان مفعولاً.

إن المخدوعين من أبنائنا وأهل عصرنا يقولون: لماذا لا تـردون علـى نصـوص الأضداد وهم يقرون آثار الشرك وفساد العقيدة في شيوخكم مـن خـلال وقـائع المقولات المأثورة، كقول فلان: الضحكة في هود تسبيحة، والشرب مـن النـهر أو الغسل كالغسل في الجنة، أو ما أبرز علناً من صور المواقع المتخذة للتبرك كشاهد على الوثنية في آل باعلوي.. إلى غير ذلك من عبارات السـلف ومـآثرهم المعروضـة في مبثوث الكتاب المشار إليه.

ونحن لسنا بصدد الدفاع عن الإفراط أو التفريط عند الشيوخ أو العـوام، وإنمـا بصدد إيقاف سياسة التشريك الواردة على الأمة من سياسة الغثاء، فالعلل في مدارسنا الصوفية معلومة وفي مدارس السلفية أكثر جلاءً ووضوحاً؛ ولكن ليس المقصـود في منهجنا التنابز بالألقاب ولا الإسفاف في إصدار الأحكام ضد بعضنا البعض؛ وإن كان المعادل الآخر لا يرى في ذلك بأساً، وإنما يراه من وجهـة نظـره انتصـارا للـدين والشريعة.

والدين والشريعة من وجهة نظرنا قد فرغ من نصرها سـلفاً، ولم يبـق لعلمـاء الإعلام وشيوخ النقض والقبض إلا تلبسهم بمظاهر علامات الساعة التي أخبر عنـها فيهم من لا ينطق عن الهوى، وأكبر ما وقعت فيه مدرستهم قضية التشـريك لأمـة التوحيد، وهذه القضية لا تحتاج إلى طول استدلال ولا إلى عبث في المصنفات الطوال، وإنما تحتاج إلى دراسة تاريخية اجتماعية للمراحل التي برزت فيهـا هـذه الأقاويـل، وكيف تبوأت منذ بداية مرحلةِ الغثاء.. مرحلةِ النقض والقبض.. مرحلةِ سقوطِ قرارِ دولةِ الإسلام موقعاً إعلامياً هاماً في إطار التقسيم السياسي للمنطقة العربية، ومـن ثم

تعرف المسألة من أساسها ملوثة بالدماء ومفعمة بالهتـك والخيانـات والأراجيـف وتحالفات الطامعين على مقدرات الإسلام والمسلمين.

ولا تسعفنا الظروف أن نقول أكثر من هـذا لأن الـذين يتنـاولون مدرسـة حضرموت لا يهمهم ذلك، بل يزيد في سرورهم أن يكون اصطدامنا مع الأحجـام المؤثرة عالمياً فيضعون المواجهة السافرة هدفاً جديداً تعالج أمره الجهات المعنية عالميـاً، فيضربون عصفورين بحجر كما يقال.

إن مدرسة حضرموت ممثلةً في رموزها البقية وطلاب علمها من شراح المجتمـع كله تدِين سياسةَ الفصل بين آل البيت وبين بقية الشرائح المنتمية إليها، وتعتبر أن هذه السياسة دخيلةً على التراتب الاجتماعي الإسلامي وحلقةً من حلقـات الاستشـراق الناخرةِ صلب مجتمعنا المحطم منذ عهد الاستعمار، ومهما كانت سلبيات الإفـراط أو التفريط في منهج المدرسة وعادا ا فإننا نتحمل مسؤولية ترتيب أوضـاعنا العلميـة وتصحيح إفراطاتنا الاعتقادية والاعتيادية، ونعتقد أننا لسنا في حاجة إلى من يوجهنـا إلى الإسلام في عصر الإعلام، وإنما في حاجة إلى النصيحة كغيرنا، ورحم اللّه امـرءاً أهدى إلى عيوبي.

وأما ما كتبته أقلام المروجين لسياسة التشريك والتبديع فأمره بسيط جدا - عندما يجد الجِد- وتلزم المواجهة المسؤولة.

إن مدرسة حضرموت كغيرها من المدارس الثابتة سنداً وعلمـاً في تخـوم الأرض والتاريخ، غير مستندة على نظام ولا جماعة ولا حزب ولا تيار، ولربما تضـافر كـل هؤلاء ضدها وضد أمثالها من دعوات الحق الراسخ، ولا ضير.. فهي مدرسة عرفـت تحولات المراحل وتقلبات الدول، وفي كل مرة تزداد تمكيناً ويقيناً برغم الأراجيـف والتخاريف و م المتقولين على المنهج الشريف، وهي لا زالت تنتظر الفرج، لكن ليس

من الناس حيث لا تطلب رضاهم، وإنما تطلبه من رب الناس الذي أوعد الأمة بالفرج في أخريات الزمان، ولكنه فرج لن يتأتى بلكنات الأعاجم، ولا بمسخ التاريخ وطمس المعالم، ولا بالانتقاء المزاجي من الكتاب والسنة، وإنما سيعالج بما بدأنا الحديث عنه:

مسألة الاعتقاد..

مسألة الاقتصاد..

وأول الضربات النازلة قريباً على مدارس الاعتقاد المنحرف: الفصل بين سياسـة المسلمين ومصالح الكافرين، وتوجيه أسهم التصحيح إلى المسيحية واليهودية كي تعود إلى حضيرة الإسلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخ ير، وتتوحد الأمة، والطريقة الثانية ضربة الاقتصاد حينما يبرز رجل من آل البيت يحثو المال حثياً، حيث لا مشـكلة في الاعتقاد وإنما المشكلة في الاقتصاد، فيعالج القضية الاقتصادية في العالم، وتسقط أوراق البنكنوت والمصارف المالية، ومدارس الربا والإفك المـبرمج، وملاحقهـا العلميـة والشرعية.

ولن تكون الأمة في حاجة إلى كتابة مؤلف عن زيارة هود، ولا عن جواز التعامل مع بنوك النصارى واليهود، بل يرجع إلى الأمة القرار المفقـود، وتتوجـه القلـوب والعقول إلى حقيقة البناء الموعود. وإن غداً لناظره قريب..

الإيضاحات

أسلوب البحث وتقريراته، لا يختلف عن أسلوب المدرسـة البدعيـة المعروفـة «الوهابية وفروعها المتعددة»، وهذه المدرسة هي رائدة الطرح الغريب منذ بروزها على ساحة الأمر بعيد الحرب العالمية الأولى، وهي المدرسة المدعومة عالمياً بصرف النظر عن منهجيتها الفكرية المخالفة لمدارس الإسلام المعروفة من قبل، مذهبية وصوفية.

فانظر ما يقول عن مدرسة حضرموت ص٤: « ومن أشد الـداعين إلى الضـلال والانحراف المتصوفة القبوريين الذين غيروا الدين ونقضوا العقيـدة وشـوهوا وجـه الإسلام بما نشروا في الأمة من وثنية وخرافة وجهل وضلال ».

وأعتقد أن المؤلف يعبر عن مدى غيرته العليا على الـدين والشـريعة في الواقـع المتعفن، ولكن كان بإمكانه أن يتحدث بأسلوب العلم والتعليم والنصـح والتوجيـه الذي دعا إليه الإسلام، وثبت في مسلك داعي الأمة محمد خير الأنـام دون الحاجـة لقواميس الآخرين.

وهب أن هذه الطائفة التي وصفها المؤلف الغيور بالمتصوفة القبورية فعلاً محتاجـة إلى الرجوع والتوبة عن ممارسة كثير من البدع والخرافات في زيارة هود وفي غيرهـا. فما هي الحاجة لاستخدام أسلوب المدرسة البدعية ذات السياسة العالميـة في مرحلـة الغثاء ؟

إننا نعتقد من خلال الأسلوب وحده أن البحث إنما هو مجرد تقرير مرفـوع إلى جهات ذات موقع فكري معلوم في هذه المرحلة استجداءً لنيل مرتبةٍ وموقعٍ معين لدى مجموعة معينة مقابل استعداء على الآخرين.

فها هو يقول ص٥: « ولدينا في حضرموت نصيب وافر من القبوريين، وكم هائل من البدع والخرافات »، وفي الصفحة السادسة: « ومن أحب التأكد فليحضر لـيرى بعينه أو يشاهد شريط فيديو لتلك الزيارة ليشاهد بعض ما فيها » وكأنه يخاطب أناساً ليسوا بحضرموت.. وهو كذلك.

ونحن هنا في الواقع المحلي اليمني متأكدون تماماً من وجود الانحرافات في الأشكال العلمية والعملية وفي العادات والتقاليد وفي الحكم والاقتصاد وفي العقائد والعبادات في واقعنا وواقع غيرنا من بلاد المسلمين نتيجة التمرحل والتحول، ولكننا لسنا في حاجة

لقواميس المدارس الفكرية القاصرة التي انهزمت أمام المشركين واليهود والنصارى، فتحولت إلى سمسار عالمي لأسواقهم وبضائعهم وبنوكهم، تناصر الشرك العالمي والكافر الحزبي وتشرك المسالم الجاهلَ والمخدوع والمسلوب عزته ودينه وشرفَه.

إن عادات زيارة هود وغيرها هي عادات اجتماعية مارسها قوم كانت فهومهم المعرفية ومدارسهم الفكرية لا تتعدى محدود فهمهم للشريعة والإسلام، ولا يتجاوز اجتهادا م المتواضعة مع سلامة مقاصدهم، وهم يصورون زيارا م ولا يخفون شيئاً منها.

وبإمكاننا أن نقول: إن هناك إفراطاً في الاعتقاد عند بعضهم، وزيادة في حسن الظن تلزمنا نحن من داخل مدرستنا الإسلامية أن ندعو بعضنا البعض للتوسط والاعتدال، فلا نقر كل شيء في عادات الزيارة، ولا نقبل التشريك من مدارس الغثاء والإثارة.

يقول المؤلف الغيور على الإسلام ص٥: « وفي هذا البحث المتواضع حاولت أن أثبت عدم صحة وجود القبر في ذلك الموضع، وأن أكشف النقاب عما تحتوي عليه تلك الزيارة من بدع وضلالات ودجل وخرافات ..إلخ » إلى أن قال: « وإن تلك الزيارة وما شاكلها إنما تسير على هدي اليهود والنصارى، وليس على هدي المسلمين» .

قلت: أما عدم صحة وجود القبر في ذلك الموضع فمسألة ليست جديدة، وقد تناولها العلماء والباحثون من قبل، ولم يأت المؤلف بجديد، وسواء ثبت وجود القبر أم لم يثبت فليس الأمر بمقدمٍ أو مؤخرٍ مسألةَ التهمة في أهل هذه الزيارات، إذ لو ثبت نصاً وتاريخاً عدم وجود القبر في تلك الناحية فهل استفدنا شيئاً في مسألة الفعل

والترك للزيارة؟ بل هو تأكيد أن الزيارة مجرد عادةٍ اجتماعية لهـا أهـداف دعويـة واقتصادية واجتماعية أخرى، وليست بغرض ذات القبر وتقديسه.

ولقد ثبت أن أهل حضرموت كانوا يزورون الناحية حتى قبل معرفة القبر بطريق الكشف التي انتقدها المؤلف، فالمسألة تتعدى العادة الاجتماعية، وما من عادةٍ إلا ولها طقوس وتراتيب.

وقد أشار بامطرف في كتابه إلى تحول وتطور أساليب الزيارة حسب التحـولات الفكرية ذا ا، مما يؤكد دخول مادة الزيارة تحت الثقافة الفكرية التي يرسمها أهل كـل مرحلة بعينها ما بين الاعتدال والإفراط.

فقد تتوقف في بعض الأحيان نتيجة لظروف سياسية، وقد تعود مرة أخرى كعادة شعبية يمارس كل فريق من خلالها ما يراه مناسباً لفهمه وحاجته.

والسقف الشرعي في العواصم غالباً هو المسؤول عن تشـكيل هـذه الزيـارات وقياد ا تبعاً لرغبته في استغلالها لصالحه وصالح دعوته، فهي عادةٌ كانت قبل الإسلام وتحمل نمطاً جاهلياً، ثم بعد الإسلام ظلت سوقاً تجارياً يحتاج إليه الناس ويأتون إليـه كأي سوق تجاري في العالم المعاصر.

وكان الإباضيون يزورون قبور أئمتهم وصلحائهم للترحم والتبرك، والزيارة كان معمول ا لدى الإباضية، ذكر ذلك المؤرخ عبد اللّه بن حسن بلفقيه نقلاً عن كتاب « تحفة الأعيان » في أعيان عمان، وفي عصر الفقيه المقدم كانت الزيارة تقـام علـى طريق الفقهاء ولم تأت على طريقة الصوفية إلا على عهد الإمام العيدروس.

والقاعدة العامة « عندنا » في مسألة الزيارات أ ا إعادة تاريخية لمدلولات فكريـة ذات علاقة بالواقع تدخل تحت قاعدة الإفراط والاعتدال والتفريط، وفي عصر الإلحاد والاشتراكية كانت الزيارة تحمل عدة أساليب وأنماط، وأراد الاشتراكيون أن تكون

الزيارات دعاية لهم، لعلمهم أ ا تجمع شعبي وعادة اجتماعية، وفي عدن كان الإنجليز يأتون بالموسيقى العسكرية مشاركين في زيارة العيدروس، وهذا كله يـدل علـى أن القوى السياسية كانت تستفيد من هذه المظاهر الشعبية.

وأما موقف الشرع فالاختلاف المعرفي بين العلماء ومسائل التوسل والاستشـفاع والاستعانة تحمل أولئك على الوجه الذي علمه وعرفوه وقرره علماؤهم، ولا مجـال «لمدرسة التشريك والتبديع» وسماسر ا المخلصين أن تحمل عقير ا بصـنمية الـزوار وكفرهم رد بعض الإفراطات التي يمكن تصحيحها بالاعتدال والتوسط.

نعم إن الانحراف الاعتقادي يجب أن لا يفشوا أكثر مما قـد فشـا في الطبقـات الاجتماعية سواء كان في مدرسة حضرموت أم في مدرسـة التشـريك والـنقض، فحضرموت ربما كان مستوى فهم علمائها شافعاً لهم في بعض مسائل الإفـراط وإن كنا لا نقرها على علا ا، ولكن ما الذي يشفع لمدرسة التشريك والتبديع ومسـتوى علمائها، وكذلك سماسر ا في كل صقع وبلد أن تتعامل منذ تأسيسها بعد الحـرب العالمية بالربا الحرام الذي أجمعت الأمة صوفياً وسلفياً وحزبياً ومذهبياً علـى تحريمـه بالإجماع، وليس هناك قول ضعيف ولا حسن في حلية التعامل في أمة الإسلام بعد أن أسقطه رسول اللّه في حجة الوداع؟ أليس من الأفضل لمثلنا أن يتلمس العذر لسـلفية الغثاء في مثل هذه المسائل ا مع عليها حتى لا نجرح توحيد المصـارف ومصـارف التوحيد؟

وأما « قبورية مدرسة حضرموت » برغم اختلاف أقوال العلماء فيها فيمـا بـين طرفي الإفراط والتفريط فلا عذر لها، ولا تلمس للأعذار أصلاً، لأن المسألة عقيدة كما يقولون، أليست سياسة الاقتصاد في مدرسة التشريك والتبديع تسير على هدي اليهود والنصارى، وأن مؤلفات الاعتقاد وتوحيد التثليث والغثاء متمول من هـذه البنـوك الربوية، وأن علامات الساعة ماثلة في أعظم مواقع الأمة شرفاً ومقاماً؟ ألسنا جميعـاً

تحتاج إلى وقفة تصحيح وإعادة؟ أليست مواقع القرار في العالم الإسـلامي بعمومـه تحتاج إلى وقفة جادة؟ أليست إدارات ومدارس وأسواق وإعلام وتعليم وتربية الأمـة الإسلامية تحتاج إلى وقفة جادة؟

إن المسألة لا تقف عند زيارة هود واستتباعات اليهود، نحن لا ندافع عن الشـرك ولا عن الوثنية، ولكننا ننفي وجودها في حضرموت وفي البلاد الإسلامية بعد أن بعِث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم للأمة بالتوحيد.

إن الذي تعيشه الأمة هو الإفراط في الاعتقاد، والإفراط في الأخذ بالعادات، وأما سياسة التشريك والتكفير فهي برنامج مدرسة قامت على القتل والذبح، وعلى التمول الكافر كجزء من سياسة الامتداد الكافر في العالم بعد الحرب العالمية الأولى بصـرف النظر عن كنه المنهج وشعاراته، وهذه المدرسة مسؤولة عن الهـزائم المتلاحقـة مـع مثيلا ا في مدارس العلمانية والاشتراكية والقومية، وصانعي أمجاد السياسـة العاليـة «فرق تسد» بعد اقتسام تركة « الرجل المريض » .

إننا في حاجة إلى قرار الإسلام العالمي، ولسنا في حاجة إلى الدفاع عـن إفـراط التصوف والتفريط المتمسلف.

الكشف ونماذجه

ركز المؤلف حول مسألة الكشف وما يروى عن بعض الشيوخ في اسـتدلالتهم بطريق الكشف عن موقع قبر نبي اللّه هود، واستطرد المؤلف إلى ما هو أبعد من ذلك حول ما يروى عن الإمام علوي ابن الفقيه المقدم.

قلت: القبر والانشغال بشأنه أكبر حجماً من القضية ذا ا، فالزيارة والاجتمـاع واكتظاظ الناس على تلك الناحية لا يحتاج كشف ولا تعيين، وإنمـا هـي رغبـات اجتماعية نشأت عليها الناس منذ القدم، وكان مثلها في كـثير مـن بـلاد العـالم الإسلامي.

وسواءً حصلت هذه الحكاية المروية عن العيدروس وغيره إن لم تحصل، فالعـادة الاجتماعية مؤصلة من قبل ذلك، واستمرت بعد ذلك ليس على أساس ما ذكره أهل الكشف ولا أهل التاريخ، وإنما كانت تلك الحكايات والأخبار مجرد استئناس علـى أدلة قطعية.

وسواء صحت أم لم تصح فالمؤلف إنما أراد أن ينال من آل البيت النبـوي فيمـا يروى عنهم، والتعريض بشأن دينهم وعقائدهم، واتخذ من هذه الحكايات التي تروى منها ما يثبت ومنها ما لا يثبت أصلاً من أصول الطعن في معتقدا م، وهذه شِنشِـنة معروفة.

هب أيها الحريص على إبراز حقيقة خرافة هود أنه ثبت قطعياً بالعلم والتـواتر أن قبر نبي اللّه هود في مدينة ظفار كما قال ابن بطوطة، أو بالمسجد الأمـوي، أو في أي مكان آخر[1].. هل ترى أن هذا الإثبات سينفي زيارة هؤلاء إلى تلك الناحية لعـدم وجود نبي اللّه فيها؟ وهب أن شركية هؤلاء في قبر هذا النبي سـيلزمهم الرحلـة إلى ظفار أو الشام لزيارته بعد ثبوته فيها؟

إ ا معركة وسائل، فهؤلاء المبتورين في واقع الأمة لم يحسنوا وسـائل ارتبـاطهم بالواقع المتهالك فهلكوا في تعتيم الرؤية على أنفسهم، وأغرقوا في الاستدلال العقـيم ضد العلاقات الاجتماعية المتوارثة.

---

(١) « الكشف المبين » ص٢٦.

وقد مضى على هذه العملية الخطيرة في الوطن العربي والإسلامي عشرات السنين استطاع فيها المستعمر والمستهتر والمستثمر أن يقولب الحياة العامة والخاصة لخدمة مشاريعه الكافرة، ومن أعظم مشاريع أكلة القصعة: إيجاد فقهائها المحتمين بمصالح الكفر، والمترسمين برسوم الملة الإسلامية.. هؤلاء هم مجددو الحركة السلبية في عصرنا المهزوم، وهم أيضاً ورثة المدرسة الغثائية التي صنعها تكالب الأمم في الوطن المسلوب.

وهؤلاء نراهم ونسمعهم كل يوم وليلة ينعقون من خلف جدران المصارف ونفثات المؤسسات التيارية والفئوية يحملون هم الغضبة المفتعلة ضد بسطاء المصلين وزوار القبور البسطاء المساكين أتباع المذهبية والتصوف، ومظهر التمرحل المستهدف على مدى التحول السياسي والاجتماعي المبرمج منذ عهد الاستعمار.

إن الغطاء النافع الذي تستظل به مدارس الغثاء ومؤسسات النقض والقبض هي الاشتغال المحموم بعقائد المسلمين، ونقض المبرم، وتحجيم التراثِ والعيوب، ونصب المشانق والمحاكمات الصورية والصوتية لما تبقى من تشكيلات المدرسة الصوفية مدرسة المرحلة الأخيرة في الخلافة الإسلامية.

ونقول: « إنها مدرسة المرحلة الأخيرة في مرحلة الخلافة الإسلامية » ، لعلمنا أن الاستعمار لم يواجه مدرسة إسلامية غيرها منذ بسط يده على مجموع العالم العربي والإسلامي، فصار هاجسه الوحيد هو اجتثاث هذه المدرسة من جذورها، سواء كانت خاملة أو متحركة.

وفي سبيل هذا الاجتثاث كانت المصالح المشتركة بين قوى الاستعمار وعناصر المرحلة الغثائية من العرب والمسلمين الذين عاصروا مرحلة التحول واقتسموا مع الكافر مصلحة الامتداد وحكم أطراف البلاد؛ كانت هذه المصالح قاسماً مشتركاً في

حرب المدرسة القديمة « مدرسة آل البيت - التصوف - المذهبية »، وكانت المـوارد الاقتصادية في الأوطان المسلوبة واستثمارها ملهاة الشعوب وطعمة الافتراس.

واليوم نحن لا نواجه الأقلام المأجورة ولا الأفلام المنظورة، وإنمـا نحـن نواجـه جحافل سياسية الاستعمار والاستهتار والاستثمار، وهذه الجحافـل تـأتي وتتبـادل الأدوار في صور شتى وجنسيات وأوضاع متنوعة.

وبمقدار تنوعها وتلو ا فلها هدف أساسي واحد هو أن لا تقوم لفئات المدرسـة التقليدية قائمة، سواء كانت فقهية أو صوفية أو مظهراً لآل البيت النبوي، وهذا مـا تدور رحاه اليوم في واقع الأمة.

إن الجهد الذي يجب أن ينصب منا جميعاً هو في البحث عن قرارنا الإسلامي وعن موقع هويتنا من العالم، وفي العالم المعاصر نجد أن كافة القوى الجديدة -وهـي مـن ثمرات مرحلة التقسيم- مشغولةٌ عن حقائق البناء الواجب للأمة، ومشـتغلةٌ برعايـة التناقضات وتوسيع رقعتها السلبية في الواقع المحبط، وتعقيد العلاقات الاجتماعية بـين التشكيلات التقليدية والتشكيلات الجديدة، ويستمر مشروع التناحر العالمي النـاجح «فَرق تسد».

وفي هذا المضمار تكرس قوى المعرفة الإعلامية أقلامها المهزوزة لخدمة المشـروع الفاتك ديناً ودنيا، وتربية وتعليماً، وحكماً واحتكاماً، واقتصاداً واعتقاداً.

لقد شهدت جزيرة العرب تجسيداً عملياً للمقولة النبوية على صـاحبها أفضـل الصلاة والسلام: «إن الشيطان قد أَيِس أن يعبد في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم »، والتحريش بين المصلين من وظيفة الشيطان، وللشيطان في مرحلة الغثاء دين ودولة وسلطان، والفاشل في مشروع بناء الأمة يلقي بالتبعة واللوم على الآخرين.

وقد عانت الأمة من فشل أنظمتها الإعلامية عبر التاريخ المهزوز، وكـان مـن أشدها فشلاً تلك الدول التي حملت شعارات التوحيـد خـلال مرحلـة التطويـع الاستعماري، والفاشلون في محيط الحركة متعاونون على إخفاء آثار فشلهم، وما هذه الحملات المسعورة من داخل أقبية الربا ومصارف المال الحرام على آل البيت النبـوي وفقهاء المذاهب الإسلامية، وشمول انتشار أتباع هذه الحملات في محـيط الأوطـان الممزقة مرحلة بعد مرحلة إلا دليل كاف على سـقوط أوراق الإفـك وزوال آثـار المساحيق المركبة.

وكم بين يدينا من ركام الأوراق حاملة الحروف المسـمومة، ونسـيج التـهم الشركية المهزومة، منها ما يأتي من قواعد الحركة الأساسية، ومنها ما يتجرد له فقهاء القصعة الموزعين في عواصم البلاد العربية والإسلامية، ظانين أن الأمة المحمديـة قـد نسيت أو تناست بفعل ضربات الاستعمار وضغوط الاستهتار ودعايات الاسـتثمار حقيقة الدين ورجاله الأفذاذ، وأنه بالإمكان أن يتجرأ الرويبضـات علـى مقامـات الشرف النبوي وسفن النجاة وحملة العلم الأبوي ليقدمهم أولئك قرابين جديدةً على مذابح الكفر والإلحاد، وهديةً لأساطين الدجل والإفساد، وهيهات هيهات.

إن المشروع الاستثماري الجديد في وطننا اليماني بدأ يبرز لنا بعض ثماره الأولى في تعمية العقول والقلوب عن آثار الفضيحة العالمية المشتركة في المرحلة الماضية -مرحلة الشيوعية والإلحاد- وما سبقها من مراحل الترويض والتطبيع؛ ليشغل جيل الأقـلام وثمرات الأقلام بمسرحية القبورية والشركيات، حتى يتسنى الإجهاز الكامـل علـى المدرسة التقليدية ونماذجها الإسلامية القديمة.

وبدلاً من بسط يد المعونة الإسلامية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ضـحايا مرحلـة الإلحاد والإفساد ومرحلة الاستثمار والدمار؛ فالجهات المعنية في المحيط الإسـلامي لا تهتم إلا ببرنامجها المطروح ودينها المشروح وإن كان على حسـاب وحـدة الأمـة

الإسلامية، فالوحدة الإسلامية مجرد فكرة معلقة في أذهان الأغبياء، وورقة جوكر يلعب بها سماسرة القضايا في أسواق العرض والطلب، وهذه هي الحقيقة المرة وللأسف، وحتى الأسف لا يجدي في هذه المرحلة الباترة شيئاً.

فالإحباط لدى مدرسة السلف التقليدية قد أمات القدرة في الأتباع على معرفة ما يجب فعله أو ما يلزم تركه في مسيرة الانتقال والتحول، وبت العشرات من المشايخ والفقهاء ودعاة الطريقة وهم يرون الزحف المبرمج بالكتاب والسنة قد شارف على خنق الأنفاس وكمت الأصوات، ونزل على الواقع نزول السيل الجارف والمد العاصف.

والكتاب والسنة في معركة العقائد والتعقيدات هو الحَكَم الفصل لدى عساكر التحول ولو كان الأمر على غير مراده، والزحف به وسيلة الفتح لتمزيق الإسلام وإفساده، فالمسألة مسألة المرحلة ومغالبة الامتلاك على مظاهر القرار ولو على حساب الآخر، وبات لدينا -يقيناً لا يتجاوز مدركات القلة القليلة- أننا أمام حرب في تقديرات الواقع أكبر من حجمنا كأتباع مدرسة تقليدية، وأشمل من مفهومنا عن العلاقات الاجتماعية المتوارثة.

ومع هذا الأمر الخطير فإننا نؤمن إيماناً قاطعاً أن حرب هذه الجيوش المدججة والأتباع المدربة الممنهجة حرب ضد إرادة الله في العباد، ومخادعة سافرة لشيوخ وفقهاء كل بلاد، وخدمة مأجورة لأكلة القصعة المالكين أزمة السياسة والاقتصاد.

وحتى لا نأخذ بأنفسنا مأخذ الانفعال المؤدي إلى إضاعة الجهد والوقت في المقدمات وشرح المبهمات فإنا نرى أن كل مقدمة لنا لا يقرؤها غير أفراد، وكل شرح لهم المرحلة قد آذن على تعقيد المعرفة في سوق المزاد، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أيها العامة المخدوعون.. أفيقوا !

« يعزو حملة الأقلام المسعورة اجتماع المسلمين في مناسباتهم التاريخية أو اجتماعاتهم الاعتيادية في زياراتهم إلى انخداع هؤلاء الزوار بدعوة آل البيت من آل أبي علوي في حضرموت الذي قيل عنهم: إن القبر المزعوم الذي يزوره الناس ويخصونه في البقعة التي هو فيها بالتقديس، ويلفقون له أكاذيب يوهمون بها العامة أنه موضع مقدس، وأنه قد جمعت فيه فضائل ومناقب؛ إن ذلك كله خرافة لا أساس لها من الصحة، وإنما تدل على جرأة القوم على اللّه، وعدم تورعهم عن الكذب عليه، وأنهم يستحلون في سبيل الحصول على أغراضهم وأهوائهم كل وسيلة وإن كانت من أشد المحرمات وأكبر الموبقات، وأنهم لا يوثق بهم في نقل، ولا يركن إليهم في أمر من أمور العقيدة والسنة، واللّه المستعان»[1].

من هؤلاء العوام الذين خدعوا عبر التاريخ؟ ومن هؤلاء الذين لا يوثق بهم في نقل، ولا يركن إليهم في أمر من أمور العقيدة والسنة؟

ألم تعلم أيها السلفي الحريص على دينك ومدرستك أنك خدعت انخداعاً خطيراً فيما تحدثت به على لسان مدرسة الغثاء والإفك والربا والدماء، وأن المدرسة التي تناولتها بهذه التهم الخطيرة أكبر وأعلى من تناول الرد على ذاتك لأنك مخدوع، والواحد يخُدع، ولكن حاشا أن تخُدع أجيالٌ وأجيال.

فردنا على المدرسة التي تبنت هذه الحملات أن الصراع صراع مدارس، وربما أدركت أنت في يومٍ ما الإفراطَ والتفريطَ كما أدرك ذلك كثير من فقهاء المرحلة.

وأنتم أيها العوام في حضرموت، إلى متى وأنتم مخدوعون من آل باعلوي؟ لماذا لا تسمعون دعوة السياسي فتصححوا عقائدكم وتتوبوا إلى أساطين القصعة، وتجددوا

---

(١) المصدر السابق ص٣٥.

إيمانكم ولو للتجربة؟! فإذا كان آل باعلوي خدعوا الأجيال على مدى ثمانية قـرون فجربوا العودةَ إلى سلامة التوحيد السياسي الذي لم يبلغ له من العمر الانحرافي ١٥٠ عاماً مع بروز المرحلة الاستعمارية في العالم، جربوا كما جـرب ذلـك مسـلمون مخدوعون في الجزيرة وخارجها.

إن مشروع الحرب الكلامية والحملات الإعلامية المدجج بالمال المشبوه والقـرار القائم هو جزء لا يتجزأ من مشروع الاستعمار العالمي.

وأهل البيت بحضرموت أو خارجها وخاصة ممن يعنيهم الأمر في هذه العجالة هم أتباع مدرسة عالمية الرؤية والقواعد عريقة التأصيل والشـواهد؛ ولكـن الأسـلوب البدعي الذي اخترعته مدرسة النقض والقبض في تعليل وتحليل العقائد موه الرؤية على عقول المخدوعين والمندخعين، ومدرسة النقض والقبض بكافة مشايخها ومؤسسـا ا العلمية والشرعية مدرسة بدعية لا قرار لها في الجذور الإسلامية المتوارثة سنداً وعلمـاً وعملاً، اللّهم إلا إن كان بعض أفرادها والمرتبطين ا ممن لا يعلمـون المـؤامرة، ولا يدركون آثار المخاطرة وسمسرة المتاجرة.

وعلى هذا الأساس فالكاتب المتناول شأن مدرسة حضرموت نـزع إلى شنشـنة أخزم الواقعة في لحوم العلماء والآكلة أعراض آل البيت النبوي عشيةَ ضعفهم وتمزقهم وتكالب الأمم على مقدرا م وتاريخهم وحقوقهم.

إن معركتنا ليست من خلال كتيبٍ تقريري يرفعه أحدهم من حضرموت تحـت اسم « الكشف المبين عن حقيقة القبوريين »، وإنما معركتنا المصيرية مع أَكَلَة القصـعة الذين ضاعفوا من سيطر م العسكرية والسياسية بعيد مرحلة التقسيم « حكومـات وفقهاء القصعة » ومؤسسا ا وترسانا ا، وخير لنا أن نكون مع مدرسة النقض أكثـر شجاعةً وصراحةً حتى لا يظن بنا المساومةُ على القضايا المصيرية، وليعـرف سماسـرةُ

القضايا المطروحة لمرحلة الغثاء أن الإسلام الحق ديننا جميعاً، وأننا كلنا في حاجته لا في حاجة تجحيمِ العيوبِ والتراثِ ونقاط الضعف التي يستخدم مشروع « فرق تسد ».

وأياً كانت « مسألة الورقة المطروحة » عقيدةً أو سياسةً أو اقتصاداً أو محبةً لآل البيت أو مذهبيةً أو طائفيةً أو عرقيةً أو حزبيةً أو فئويةً أو مسألة السلفية وأصولها التيمية والوهابية أو صوفيةً على أي صفة كانت؛ فإن الحوار فيها والمناقشة والمناظرة والكتابة في كل هذا على مدلول سياسة التعصب إنما هي خدمةٌ للمشروع الغثائي المفروض على واقعنا منذ الحرب الكونية.

ولا يهمنا شيئاً مسألة الكتاب المطروح باسم « الكشف المبين عن حقيقة القبوريين » في الواقع الممسوخ ديناً ودولة، بل وحتى مسألة الاجتهاد الذهني والتبويبات والفصول لإعطاء التقرير الكتابي موقع الأهمية العلمية والأخذ بالأدلة التفصيلية كتاباً وسنة لا يعني في ذاته شيئاً ذا أهمية عملية في مستوى الخروج من دائرة الغثاء المشترك، اللّهم إلا إن كان أراد به الالتزام بالبحث المنهجي المقبول عند فقهاء البحوث الذين صنعتهم مدرسة النقض والقضب في المراحل القريبة.

فالباب الأول مثلاً حمل عنوان: « بطلان ما استدلوا به على وجود القبر في ذلك المكان »، وهذه المسألة كما ذكرنا سلفاً لا تعتبر عندنا أصلاً في المسألة، فالقبر سواء وجد أم لم يوجد، وإن ثبت أن القبر للنبي هود ليس هنا تأكيداً فإن عادة الاجتماع خارجة عن دائرة الغرض الذي تدندن عليه مدرسة النقض، فالقبر ليس هدفنا أصلا، ومدرسة النقض تعلم ذلك، ونحن أيضاً نعلم هدف مدرسة النقض ومرادها، فالقبر مجرد وسيلة عند فقهاء القصعة لفك الاجتماع وإضعاف الأثر العلمي والشعبي لآل البيت فقط كما هو في دندنتهم على قبر المصطفى والبقيع والحجون والشبيكة وغيرها، وصراخهم على المولد والبردة وغيرها.

والحشد القلمي من الاستدلالات والتهم والأحكام حقد طبقي مركب، وحسـد اجتماعي مرتب، تسعفه المعرفة وتغذيه عناصر الهوى وحب الذات.

ونرى أننا أكبر وعياً من الإسفاف العلمي في شأن البحث عنـا الاسـتدلالات المبررةِ زيارةَ هود ووجود القبر هناك أو عدم وجوده، فهذا لا يهمنا أصلاً من أساسه، وليست مدرستنا الإسلامية بموقعها العلمي وقاعد ا الأصولية منطلقةً من تعظيم قبر أو عبادة ميت.

وما كتبه ويكتبه كثير من علماء مدرسة حضرموت وغيرها في هذا الجانب إنمـا هو محاولات غثائية للرد على الغثائيين فقط، حيث إن ثوابت مدرستنا العالمية تضـع جميع علماء المرحلة الغثائية - سلفيةً وصوفيةً وحزبيةً - تحت ا هر وفي كفة الميـزان، لأ م هم المسؤولون أمام اللّه عن سياستين خطيرتين برزتا في المرحلة:

الأولى: الإفراط والتفريط.

الثانية: خدمة مبدأ « فرق تسد » .

الباب الثاني تحت عنوان: « هدي الإسلام في التعامل مع قبور الأنبياء والصالحين، وهدي اليهود والنصارى » [١]

وشرع الكاتب يتكلم عن مزايا الإسلام التي لا يختلف في حقيقة ورود أحاديثها اثنان، ويختلف الاثنان والعشرة والألف في تعليل هذه الأحاديث وغيرها مما لم يذكره في بحثه، وليست مسألتنا الدفاع عن التجصيص والكتابة وغيرها، فما كان إجماعاً عند علماء الأمة فهو حرام، ولكن دورنا في التناول كشف غثائية الأقلام المتناولة هذه القضية من أساسها، لأ ا لا تملك الحل ولا تساهم فيه.

فإذا كانت الغثائية الصوفية مقتنعة بالتجصيص والكتابة على القبور وإرخاء الستور وبناء التوابيت، وصارت المسألة عندها ديناً وعقيدة؛ فنحن نخطئها قبل أقلام السلفيين الإعلاميين..

ولكن أين الحل؟ فالمدرسة السلفية الغثائية أكثر رذالةً وإسفافاً من غثائية التصوف.. وهاك الدليل: لا زالت مدرسة السلفية الغثائية منذ تركيبها السياسي والفقهي والاجتماعي في الجزيرة العربية وهي تعاني من فشو المعاملات الربوية وزيادة انتشارها داخل الأقبية السلفية المباركة.

وهب أن الموازنة في الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات والحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء كما وصفها الكاتب[1] قد ألزمت الغثائيين أن يهبوا لتصحيح عقائد الصوفية وخاصة في العلاقة بالأموات.

---

(١) الإسلام لا ينحصر هديه في مسألة التعامل مع قبور الأنبياء والصالحين، بل للإسلام هدي واضح في كل شيء، والمدرسة التي أحسنت لغة الحوار في قضايا القبور والزيارات وبناء القبب وما شاكلها هي الفاشلة تماماً في تطبيق هدي الإسلام أمام سياسة اليهود والنصارى في الاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم والقرارات.

ونحن نعلم أن الصوفية الأحياء في غالب تصورا م أموات غير أحياء، ولكن أنت أيها السلفي الحي عقيدة وسياسة واقتصاداً وديناً ودولة، أين هي الموازنة بين مصـالح الأحياء المسلمين ومصالح الكفار المسيطرين؟

وأين هو الحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء، وأنت وأنا وغيرنا يعلم أن المدرسة الربوية صانعة الفتح السلفي المعاصر هي مدرسة الربا اليهودية العالميـة، وأن بنوك الربا الحرام ا مع على حرمته في كل الكتب السماوية، ولدى كافة المـذاهب الإسلامية هو الاقتصاد الممارس في عواصم المدرسة السلفية المعاصرة منذ بدء علاقتها الاقتصادية مع العالم الغربي، فأين استدلالات الأمر والنهي عن هذه الفضائح؟

لقد ورد في الصفحة ٤٠: « وقد عقل الصحابة والتابعون لهم بإحسـان الأئمـة المقتدى م ذلك، وحافظوا على ذلك الهدي الصالح والطريقة الرشيدة حـتى ايـة القرون المفضلة عندما آلت ولاية المسلمين إلى الروافض والباطنية، فغـيروا، وبـدلوا، وأماتوا سنة الرسول وأصحابه، ونشروا سنة اليهود والنصارى في بـلاد المسـلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام ومنحرفوا المتصوفة حتى شاع ذلك في بلاد المسلمين، وصار هو الغالب على كثير منها رغم تحذير العلماء، وتقرير الفقهـاء، وصـيحات الغيورين على سنة المصطفى »(1).

ونحن نعتقد أن سياسة الخلط في الكتابة وتقرير المواضيع مسألة قد أفلحت فيهـا مدرسة النقض الغثائية تماماً، فهذه العبارات المسبوكة سبكاً سياسياً تفيد عكس مـا يتحدث عنه الكاتب أصلاً، فنحن نفسر الأمور من منظور الإسلام لا مـن منظـور غثائيات التصور، ولا من منظور سلفية الإعلام، فالحقيقة المرة أن الانحراف في مسألة الإسلام لم تكن إلى عهد القرون المفضلة، بل انتقض الحكم الإسلامي بعيـد مقتـل

---

(١) « الكشف المبين » ص٣٩.

الإمام علي رضي اللّه عنه وانحراف المسار السياسي منذ تلك اللحظة، وربما كانـت مسيرة العلم والتعليم ونشر الإسلام قوية الجانب بالمـذاهب الإسـلامية العالميـة لا بالباطنية ولا بالروافض الذين ولع م الكاتب، فالباطنية مذهب منحرف، والروافض منهج مختلف.

والقرار الإسلامي السياسي قد انحرف قديماً جـداً، وزاد الانحـراف في القـرار السياسي مرحلة بعد مرحلة، ومع الانحراف السياسي كان المسلمون علـى مختلـف مذاهبهم يسهمون في المحافظة على القرار العلمي والدعوي فقط وبصورة متجزئـة، ويسمى ذلك فصل الدين عن الدولة، وهذا المبدأ الذي برز في العهد الأمـوي تلتـه محاولات أخرى لفصل الدين عن قرار الدولة، ثم فصل الدولة عن قرار الدين، وهكذا دواليك من ضعف إلى ضعف، حتى عصر الغثائية العالمية، وهو العصر الذي سقط في قرار الخلافة الإسلامية، وقامت خلاله الحروب العالمية، وأعيد تقسيم الرقعة العربيـة والإسلامية، ونشأت دويلات الربا ومدارس الغثاء، وفقهاء القصعة الذين عـبر عـن ظهورهم من لا ينطق عن الهوى صلى اللّه عليه وآله وسلم.. فقهاء القصعة الـذين لا يستطيعون إدانة الكافر لأ م يقتسمون معه مصلحة المال والحكم والحدود الممزقة.

ويسهل عليهم جداً أن يتفاعلوا كل التفاعل ضد آل البيت والصوفية والمذهبيـة الممزقة، والشواهد والأدلة من القبور والزيارات والاعتقادات والآثار والتبرك، وكتب الحبايب مصدر غني لرسم الصورة الباهتة عن الصوفية والتصوف الغثائي.

ومثلنا العربي يحق أن يستشهد به اليوم: « من كان بيته من زجاج فلا يرمي بيوت الآخرين »، والسلفية المعاصرة كما تسمي نفسها أو كما اختير لها عالمياً هذا الاسـم عليها أن تعلم يقيناً أن صوفية حضرموت ومذهبيتها تعاني من غثائية المراحـل مـا لا مزيد عليه، وكنا نتمنى أن نجد في سلفية الغثاء ما هو خير منها ليـتم الارتقـاء مـن

الغثائيات المفروضة على الأمة إلى حل وسط يخرجنا من تناقضات الاعتقاد وربوبيـة الاقتصاد، ولكن هيهات..

شغلت صوفية الغثاء بالدفاع عن ثمرات المراحل المتقلبة، واشتغلت سلفية الغثـاء بالهجوم على مظاهر المراحل المتقلبة، وظل زمام الحركة والتأثير في الحيـاتين الرسميـة والشعبية بيد أعداء الإسلام والمسلمين، وهم رعاةُ هذا التناقض وممولُو الصراع فيه، وكاتبنا مثل غيره من الراغبين في الطموح على حساب جماجم وعقائد الآخرين.

إن النصيحة في حد ذا ا مقبولة..

ورحم اللّه امرءاً أهدى إلي عيوبي..

ويجب على مجموعات التصوف أن تقبل النصيحة للخروج من دوائـر الإفـراط والاعتقاد، وفي ذات الوقت لا يعتبر هذا مخولاً للسلفية وكاتبهم أن يعتقدوا امتلاكهم لحل قضية الأمة من خلال معالجة القبور والستور والنذور، فمن كان في أزمة يصعب عليه أن يعالج أزمات الآخرين، وخاصة إذا كان الجميع يقفون على أرضية اجتماعيـة وسياسية واحدة.

ولست في حاجة إلى متابعة تفصيلات الكتاب وما ورد فيه من استدلالات، حيث إننا نعلم إمكانية معالجة قضية القبور وتسويتها وإبعاد القبب وتكسيرها مـن خـلال قرار إسلامي موحد، لا من خلال منازعات الصوفية والسلفية إن كان الأمر متوقفـا على التطور والعود إلى الإسلام ذا، فالشافعي رحمه اللّه عند قولـه: « ولم أر قبـور المهاجرين والأنصار مجصصة » فقوله حق، لأن ذلك العصر كان القـرار فيـه بيـد المسلمين؛ دولة وشعوباً.

وأما اليوم فالاستدلال مشطور، والقرار الإسلامي مقبور، وكتاب أو حتى عشرة يتناول شعوب المسلمين، ويعرض شركهم وكفرهم إنما يزيد الطين بلة ولا يؤدي دور خدمة الملة.

هذا إذا سلمنا للكاتب سلامة المقصد والنية، وأما إذا أقمنا بحثاً علمياً عن الكاتب ومراحله، وعن الفكرة المكتوبة ومدرستها فإننا سنخرج من دوائر حسن الظن المطلق إلى سوء الظن المقيد، وماذا عساه يجعل السلفي أو غيره يستشـيط لينـاقش إفـراط المسلمين من آل باعلوي أو غيرهم، وهو يعلم يقيناً أن كافة الطرح المعلل تتبناه منـذ عشرات السنين مدرسة معلومة، وسياسة محكومة، لا تملك من أمرها أمـام الكفـر المدجج شيئاً، فالشافعي عشية نظره إلى قبور المهاجرين والأنصار وهي غير مجصصـة هو أيضاً لم يشهد البنوك والمصارف اليهودية المخصصة، ولو رآها وسكت لكانـت حجة السلفية المعاصرة قوية جداً جداً.

ولهذا فنحن نرى أن المرحلة التي أورثت الأمة تجصيص القبور هي ذا ا قد أورثت الأمة تشييد القصور والبنوك والتعامل بالمحظور، ولا جديد سوى أن الصوفي أفرط في الاعتقاد واختلف العلماء في مسائله، والسلفي في الاقتصاد واتفق أكلة القصعة علـى وسائله!..

أليس كذلك؟!..

ملاحظة عرضية

علق الكاتب في الحاشية ص٥٧ على ما يباع من صور بأحجام مختلفة، وما يقوله المفرطون في صور فلان وعلان، وأن من نام وصورته تحت رأسه رأى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم إلخ..

وهذا اعتقاد باطل من أساسه كراويه، واستطرد الكاتب إلى حكاية تروى عن «تذكير الناس» مع صاحب مليبار ونفخه في الصور حتى تحركت.

ونحن كما ذكرنا سلفاً لا ندافع عن الإفراط ولا عن الخطأ، ولكننا نشفق كل هؤلاء المتجرئين على الله بإصدارهم أحكاماً لا تتناسب مع مستوى العلم الذي يتحدثون عنه أصلاً.

فالقصة ذكرت على سبيل الكرامة، والكرامة مثبتة في كاتب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والكرامة انفعال الظواهر على غير المعتاد، واستدلاله بقوله: «...وليس بنافخ ..» المعروف أن هذا في الآخرة، لأنه في مقام المحاسبة للفاسق والمصور، وربما حصلت الكرامة في الدنيا بتحريك الصور حيث لا يستبعد أن تجري كرامة لصالح، ونحن نقر الكرامة للصالحين، وليست شرطاً أن يكون سيداً من آل باعلوي أو غيرهم، فإن الكاتب وللأسف يتحامل كثيراً في رد الكرامة لأ ا جرت على يد رجل من آل أبي علوي، ويقول: « انظر إلى هذا الهراء، بل الجرأة على الله »، ونحن وهو يعلم أن النفخ في الصورة من حيث قدرة الله على إجرائه على يدي عبد من عباده ليس هراء ولا جرأة على الله، اللّهم إلا إذا تحقق لنا أن هذه الكرامة مكذوبة أو منتحلة فتكذّب الرواية فقط، ولا ننقص من قدر الناس، فهذا تجاوز وتطاولٌ، وخاصة أنه ختم عبارته بقوله: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت »، وأحسبه أن يكون المعنى منطبقاً على مثل هذا المتطاول والعياذ بالله.

وكنت أتمنى من مثل هذا الكاتب الذي اجتهد جزاه الله خيراً في ملاحقة صنمية القبور والمشاهد أو القباب أن يكمل البحث ويساعد الأمة وخاصة في عصر الغثاء على معرفة سنية ومشروعية بناء البنوك والمصارف العالمية والإسلامية والعربية، ومن هو أول من أنشأها في العالمين وأوجد سنيتها -إن لم نقل: بِدعِيتها- تلطفاً مع مفاهيم السلفية المعاصرة.

فالاندفاع التحليلي على غير الصورة الصحيحة أمر يثير الاستغراب، والحـق لـه نصاعته في كل موقف ومقام، فقوله ص٦١: « فهذه قصة انتشار المشاهد في الـيمن وبداية القبورية الوثنية كانت على أيدي أحفاد عبد اللّه بن سبأ اليهودي » إلخ..

قلت: نحن في كل ما نكتب لا نميل إلى أن نقف مع رؤية ضد أخرى، وخاصة إذا علمنا أن كِلا الرؤيتين لا تؤدي الغرض الأسمى من الطرح في المعالجة، حيث لا نرغب في زيادة الاشتباك بل نميل إلى فك الاشتباك وتجاوز عيوب من سماهم بالرافضة أو غير ذلك من التسميات، فإننا نضع السؤال ـرد الاستفادة: قبة المصطفى صلى اللّه عليـه وآله وسلم في المدينة، من الذي بناها وشيدها، والرافضة لم يحكموا الحجاز ولم تكـن لهم فيها سلطة دينية ولا دنيوية؟

وإذا عرف «من بناها ؟» عرف السبب الذي يجعل هؤلاء الكُتاب يغفلون مـا لا يشفع لأفكارهم ويشددون القول على ما يخدم رغبا ـم، وللأسف فإن ظاهرة القباب كانت من أعمال علماء وفقهاء دولة الخلافة العثمانية، دولة الإسلام، وكان الأعاجم يعظمون العلم والعلماء، ولهذا شادوا القباب على المشاهد والقبور تعظيماً لمقام النبوة والعلماء والصحابة، لا عبادة لهم.

وقد كان مقابر الحجون والبقيع والشبيكة والمعلاة بمكة المكرمة مشحونة بالقباب، وكلها كانت من آثار الخلافة الإسلامية خلال العهد العثماني، فلا فاطمية ولا رافضة هناك، وأما اليمن فالعجيب أن الكاتب قد وسع المشهد كثيراً عندما ربطها بعبد اللّـه بن سبأ اليهودي وأحفاده، وهذا تجاوز تاريخي خطير، واندفاع سلفي مستطير، لا من حيث الفتوى في مسألة القباب، ولكن من حيث التحليل العلمي والنقل المعرفي فقط، فهناك في اليمن عشرات القباب والمشاهد لا علاقة لها بالإسماعيلية ولا الباطنيـة ولا الرافضة ولا غيرها، وقد يكون لأولئك المذكورين دور في بناء بعض المشاهد والقباب ولا شك؛ ولكن يجب التمييز والتفصيل حتى يتمكن الاستفادة علمياً من هذه البحوث

المطروحة في المستقبل، ولو حتى جدولة هدمها إذا حق الحق و يأت دولـة التوحيـد المرجوة إن شاء الله.

أما هدم المصارف والبنوك فيحتاج إلى تعميد من جهة أخرى لا علاقة لها بكافـة الفئات الإسلامية.. رافضة وصوفية وباطنية وسلفية ومذهبية.. فهي موجودة لـدى الجميع، وكل المصلين يعبدون الدرهم والدينار، ويبنون أصنامه في عواصمهم، ولكن صعب جداً علينا جميعاً أن نتجرأ على ما بناه الكافر من المشاهد والبنوك والشـواهد، وسهل جداً علينا أن نتناول الأموات وقد سقطت سقوف سياستهم مـن الواقـع، فصاروا جيفاً لا يدافعون عن منجزا م البدعية.

بِئْس لِلظَّالمين بدلاً ..

كتب المؤلف عن الشاطري فقال: «لقد نقل المعركة إلى ميدان آخر لا مقاتِلَ فيه، وهرب من الميدان الذي يعرف أنه مغلوب مهزوم فيه؛ لأن سلاحه فيه الهوى والبدعة والكذب الذي لا يخفى على أصحاب البصائر».

قلت :إن معالجة المسألة من باب المعارك الدائرة أمر عجيب وغريب أولاً، وكنـا نود دائماً أن ننطلق مع كافة الحريصين على سلامة المنهج النبوي من باب المناصحة، وهي مبدأ الإسلام مع كل المخالفين.

والكاتب وأشباهه مستأسِدون ومتنمرون على المدرسة الصوفية وبدعيا ا، ونحـن ننتحل لهم المعاذير، فهم ينطلقون من عقيدة، ولا مساومة في هذه المسألة أصلاً، ولكن ربما انطلق الشاطري من رؤية بدعية لا تمت إلى العقيدة بصلة، فلذلك كانت حجتـه ضعيفة، وهرب من ميدان المعركة إلى ميدان لا مقاتلة فيه.

والمعركة الحقيقية هي معركة الكفر والإسلام، وما دون ذلك هي مسائل مختلـف عليها لا يمكن أن ترجح رؤيةً على أخرى لتكون قاطعة على الجميع، فالاستشـفاع والاستغاثة والتوسل وما أورده المؤلف من كليمات عن العيدروس وغيره كلها تدخل تحت دائرة المسائل المختلف عليها، وعند الاحتكام الحق تقف عند مسألة الإفراط، ولا شيء فوق ذلك.

وأما الحكم بالصنمية والوثنية والكفر ذه المسائل فحكم بدعي من أساسـه ولا أصل له في تاريخ الإسلام، لأن كلا المسألتين تعالج من منظور «غثائية الجميع»، وإذا ما أصرت مدرسة المعركة الفاصلة التي لا يعجبها هروب أحد من الميدان فإننا نضـع الإفراط المنسوب لمدرسة آل باعلوي أمام التفريط المنسوب لمدرسة التبديع والتشريك في مسألة الحلال والحرام المصرفي بالذات مقابلاً للمسألة ذا ا كمعـادل في معركـة

المواجهة، لا من حيث إقرار إفراط مدرستنا في كل ما تعمل. وإنما من أجل التعريف بإصرار معاملة مدرسة السلفية على المخالفة في الإجماع والدفاع عنه والاستفادة من عائداته وهو أصل في العقيدة ولم يقل أحد بحلّيته من الأطراف.

وإذا كان العيدروس قد انتظر ١٣ سنة للإذن الرباني في نقل زيارة نبي اللّه هود من طريقة الفقهاء إلى طريقة الصوفية[1]، باعتبار الانتقال من وجهة نظر المسلمين المذهبية والتصوف وآل البيت ليس شركاً ولا كفراً، وإنما مسائل مختلف عليها ولم يقل بشركيتها أحد، وفيها دلالة على عدم التهور والاندفاع في اتخاذ القرار سوى مدرسة التيمية الوهابية فقط؛ إذا كان العيدروس قد انتظر كذلك فكم مكث علماء السلفية الغثائية من الوقت ينتظرون الإذن لانتقال المعاملات الاقتصادية الإسلامية إلى البنوك الربوية واليهودية في أقدس مواضع الأمة وأشرفها.

لا هروب في المعركة.. ولا انتقال إلى ميدان لا مقاتلة فيه، فالإسلام واحد، والكفر واحد، وما اختلف عليه المسلمون لابد أن يؤخذ بعين الاعتبار، وما اتفق عليه المسلمون حلالاً وحراماً يجب أن يعرف موقعه من سياسة الاستعمار.

وكم مكث الكاتب يقلب وجهة نظره في مسألة إصدار الحكم البدعي بتشريك مدرسة بكاملها شهد العالم الإسلامي بفضلها عبر التاريخ ونشرها للعلم والفضائل في أصقاع العالم، ولم يقل أحد في عالمنا الإسلامي كله بكفرها أو شركها أو ضحية أفرادها ومشاهدها غير مدرسة يقال عنها: «شِنشِنةٌ أعرِفُها من أخزمِ» .

---

(١) المصدر السابق ص٦٩ .

كتب المؤلف ص٧١: « وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره فقد ثبت ذلك بأدلة صحيحة ووقع في عصره صلى اللّه عليه وآله وسلم وقـرره الـنبي عليـه الصلاة والسلام فلا سبيل إلى المنع منه والنهي عنه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه ولم يقر عليه أحداً في أصحابه ولم يشر في حديث واحـد إلى فعلـه واختياره، ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً ».

كل هذا الحشد من العبارات المقررة مبدأ الرفض لزيارة القبور على نمط المدرسـة الغثائية، ولا نود أن نحشر أنفسنا طرفاً مع الكاتب في المسألة لأن لنا وجهة نظر عليـها في هذا كله لنخرج معاً من معركة الإفراط والتفريط إلى الإسلام الحق، وإنما نوضـح خطأً ورد في الاستدلال ذاته.

فالحديث الذي أورده المؤلف ص٦٤ تحت عنوان « مشروعية زيارة القبور تؤكد حقيقةً تناقض الأحكام »، ودخولها في مدلول الاستدلال على سعة الشريعة في سجنها داخل أقفاص السلفية الغثائية.

فحديث أبو هريرة رضي اللّه عنه يدل على أمور منها:

١- زار النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أمه فبكى وأبكى من حوله.

٢- استأذن في أن يزور قبرها فأذن له، فقال: زوروا القبور فإ ا تذكر بالموت.

وقبر أم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بالأبواء، وهذا يعني أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه وآله وسلم شد الرحل وسافر، وما حكم هذا السفر وموقف رسـول اللّـه صلى اللّه عليه وآله وسلم في رأي سلفية الغثاء؟

ثم قوله: « واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي »، وفيه إشارة واضـحة بـالإذن الإلهي من أجل زيارة القبر، وشفع ذلك بقوله: « فزوروا القبور »، يعني حيثما كانت تحت مدلول الحديث فإ ا تذكر الموت.

وهنا يجب أن نعلم كيف ستنقل المعركة إلى ميدان آخر لا مقاتلة فيـه، وكمـا يحتاج المندفعون إلى تبرير الهروب في هذا الميدان الفسيح ليسجنوا الأمـة في القفـص الغثائي المهترئ.

ومع هذا وذاك فلا زلنا نخاطب المخدوعين أن يختصروا المسافة ويأخـذوا بمبـدأ الاعتدال في كل الأمور لا إفراط ولا تفريط، فلن نقر الإفراط في الزيارة ولا في التعلق بالأحياء ولا الأموات؛ ولكنا أيضاً لن نِقر السلفية أن تكون بديلاً عن الإسلام الحق، ولن نقرر ما قاله المؤلف.

لا أدري.. كيف يستمرئ هؤلاء الناس الكذب ويستخفون بعقول الناس؟!

والله المستعان.

النهي عن اتخاذ القبور أعياداً

سبق وأن أشرنا إلى نقض ما قالته مدرسة الغثاء عن منع شد الرحل بما ذكرناه من الدليل، وإذا تعارضت الأدلة فلكل دليله ولا خلاف، وفي باب النهي عن اتخاذ القبور أعياداً ذكر المؤلف حديث: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»، «لا تجعلوا قبري عيداً»، «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

وقد استجاب الله دعاء رسول الله في مسألة قبره ولم يقم أحد عند رسول اللّـه الأعياد ولا المناسبات، ولا ثبت ما يظنه الناس ممنوعاً، ولكن هذا الحديث كما هـو

معلوم خاص بقبره إذا أردنا مسألة الاستدلال بالنص، واللفظ واضـح ولا حجـة في غيره أصلاً من جهة هذا الحديث.

وكل اجتماع لدى قبر أو ولي يجب أن يضبط بضوابطه الشرعية كما هو عند قبر رسول اللّه، فلو كان التحريم للاجتماع عند القبور حراماً فلا يجوز لأحد أن يجتمـع على قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بالخصوص، وأكثر الناس إنما يشـدون الرحال ويجتمعون عند قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وأما ما ذكر الكاتب عن عادات الناس في زيارة هود ومسميات الأيام بأيام الحج فإن هذا لا يرتقي إلى مسألة الإيقان بالتعبد الذي هو مقصود الحجـاج في عبـاد م الشرعية، وإن وجد فحرام قطعاً، وهو الإفراط المذموم بغـض النظـر عـن فاعلـه ومعتقده، والنصيحة واجبة، وإصدار الأحكام بالشرك ور واندفاع.

تصحيحات

١- لم يدخل مذهب الحنابلة حضرموت أصلاً، وهذا تقرير لم نجد لـه مصـدراً تاريخياً يؤكده، وأول المذاهب دخولاً مذهب أهل الحديث مـن أصـحاب الإمـام الشافعي كما نص على ذلك الطبقاتيون وعلى رأسـهم السكسـكي الجنـدي في «السلوك» وابن سمرة في «طبقاته»، ثم دخلت بقية المذاهب، ثم دخل اليمن في طـور التمذهب أو ما يسمى في الدراسات الحديثة بـ « مرحلة تدوين المذاهب » .

٢- قول المؤلف: « وفدت الشيعة الإمامية مع المهاجر »[1] كلام لا أصل له من أساسه وللأسف، وأشد منه قوله: « ولكنه لم يجد قبولاً، مما اضطر أحفاد هذا الرجل أن يتظاهروا بالدخول في مذهب السنة مع بقاء بعض العقائد الإمامية لديهم » .

٣- لا يعتبر قول ابن عبيدالله في « نسيم حاجر » ولا في غيره حجة على مدرسة بني علوي في هذه المسألة، ولابد من التنبيه إلى أنه يقصد الإمامة بمعنى المرتبة لا بمعنى المذهب لمن قرأ كتابيه معا: « نسيم حاجر » و« سموم ناجر » [2]، وأما من ضم إليها بقية الكتب التي ألفت في هذه المسألة كـ« إثمد البصائر » و«جنى الشماريخ» و«صبح الدياجر» واستعرضها كلها فسيتضح له الباعث الشخصي على التأليف بين الكتاب.

٤- التصوف في اليمن وحضرموت سابق لمرحلة عبد اللّه الصالح المغربي حيث كانت الطريقة القادرية منتشرة في ربوع اليمن كمذهب إسلامي صوفي، وإنما كان التصوف بحضرموت ضعيف التأثير كقرار موجود وسلوك.

وأول من تنفس الأنفاس الصوفية بحضرموت عبد اللّه بن أحمد المهاجر بعد عودته من مكة ودراسته مذهب أهل السنة علي يد أبي طالب المكي.

٥- زيارة هود مظهر شعبي قديم، وكان كل أهل عصر يستفيدون منه لصالح سياستهم أو منهجهم، فقبل الفقيه كان مظهره مظهر الفقهاء، وبعد العيدروس صار مظهره صوفياً.

---

(١) المصدر السابق ص٣١٨.

(٢) ومما يقوله في آخر « سموم ناجر » : « وقد راجعت في هذه المسالة -يعني إمامة المهاجر- أخانا الذي انتهت إليه رئاسة الإرشاد في تريم السيد علوي بن شهاب فقال: إن ذلك مما أصفقوا (يعني أجمعوا) عليه، ولا حاجة للتأليف فيه » ، وقد كرر هذا المعنى في محاضرته عن حديث غدير خم.

وهذا يدل على تأثره بثقافة المراحل وعالميته كتجمع عام لكل صوفية اليمن، فأحمد بن الجعد الأبيني والشيخ سعيد وغيره يأتون من أطراف اليمن وحضرموت لغرض الاجتماع، وقد يأتي ألف طار من ناحية عدن وأبين، وهذا ما يشبه احتفالات «الجنادرية» اليوم.

٦- عبارة جائرة «الصوفية من أشد طوائف هذه الأمة غلواً في القبور، وأهلها هم الذين أدخلوا إلى أهل السنة بعد أن اختلطوا بغلاة الشيعة الباطنية وأخذوا بعض عقائدهم»، والحقيقة أن الصوفية بحضرموت لا علاقة لها بالشيعة الباطنية ولا بغيرها، وأما الغلو في الاعتقاد فحاصل لدى البعض كما حصل لدى السلفية في إصدار الأحكام، وأما المصطلحات اللفظية فهي قاموس مدرسة إسلامية أقرها العلماء الأثبات، وعلى الباحث المعلم أن يقرأ.

قال ص٨٣: «وإن خرافة قبر هود من أصلها وراؤها الصوفية القبوريون الذين يريدون أن يؤسسوا لهم منطقة مقدسة يشغلون العامة من خلالها» .

قلت: أكدت كتب التاريخ أن قبر هود والخلاف حوله مسألةٌ سابقةٌ للصوفية والتصوف، وإنما استفاد الصوفيون على مختلف مفاهيمهم من المناسبة كما هو حال من سبقهم من الفقهاء، والعبارة المشار إليها في الكتاب عبارةٌ ممتلئة بالتحامل على الصوفية وقبوريتهم كما يزعم، وهناك باليمن مناسبات قبوريةٌ يستفيد منها السلفيون في نشر آرائهم وأفكارهم، وربما جاء عصر يكون المظهر كله سلفياً، وما الذي يمنع ذلك وخاصة أن السلفيين لا يحبون زيارة القبور ذا ا ؟ وها هم يشدون الرحل إلى زيارة الجند ليس للزيارة -مع أنه لا يوجد فيها قبر أصلا، وإنما تجمع لتجديد ذكرى دخول الإسلام إلى اليمن- ولكن للتحذير منها، وإلى ابن علوان ولكن للتحذير منها، وإلى غيرها بنية التحذير والدعوة إلى الله.. ولكنهم يشدون الرحل.. ولا أدري ما الفائدة لهذا ال اع الغريب في الجسم المنهوك؟!

وقفات مع كتاب
((الفكر والمجتمع في حضرموت))

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة مصادر الثقافة والتلقي الفكري

عندما يطالع المرء نتاج الأقلام وحصاد الأعمال الكتابية في الموضـوع الواحـد، ويرى اختلاف وجهات النظر في التعليل والتحليل، واتفاق الكل في غاية معينـة وفي استخدام الأدلة المشتركة؛ يتعرف تماماً على مسألة التلقي والأخذ، وآثـار الإدخـال الفكري على عقليات الكتاب والمفكرين، و ذا تصبح مسألة « الحق » مسألة نسـبية لدى المتناولين للقضايا، إذا ما اعتبرنا « الحق » الذي يريده اللّه في عباده، ففهم كـل منهم مدلول الأدلة بمعنى لم يفهمه الآخر.

هذا للمجتهدين المنصِفين، ويسلم لأهل الاجتهاد اجتهادهم بلا شك، وأما ما نحن بصدده فهو مسألة الاستعداء في الاستدلال، ووضع الكتاب والسـنة علـى طريـق الأهواء، وإن لم تكن على طريق الأهواء فعلى طريق خدمات مدمرة وضع قواعدها في بلاد المسلمين فقه الكفار وفلسفا م المادية الوضعية ذات العقلانية ا .ردة تمامـاً عـن مسألة الأخذ بحسن الظن وفهوم أهل اللّه، وما يسمى في ثقافـة الإسـلام الخالصـة «الغيب، وانفعال الظواهر، وأفضلية التفاوت، وأدب الخلاف» .

وهذه المسائل وأشباهها هي « مادة الفقه في الدين، وبضاعة المتدين »، اللّهم إ ـ ا قد تكون لدى الأمة عمومها، وخصوصاً على ثلاثة أطراف: الإفـراط، والتفـريط، والاعتدال.

وهذه المحاور الثلاثة هي مادة البحث في « فقه المعرفة الثقافية » لـدى المـثقفين الإسلاميين بالذات، وهي من وجهة نظرنا بالطبع ميدان المعركة الـتي تجـول فيهـا كتائب المعارك توحيداً وأصولاً وحديثاً ومذهبية وغير ذلك.

والمكتبة الإسلامية بتاريخها الطويل مشحونة ـذا التراث علـى مختلـف نماذجـه ومحاوره، ونعتقد يقيناً أن الجميع لهم قواسم مشتركة تسمى عين الحقيقـة وهـدف الجميع، ولكن الإشكال انحصر في فهم النصوص وفي محاور وضعها من حركة الوعي والعلاقات الشرعية والاجتماعية. هذا في داخل دائرة الإسلام والمسلمين.

ولاشك أن الثقافات القادمة من خارج هذه الدائرة لها دورها في التـأثير سـلباً وإيجاباً على فقه المعرفة الثقافية، بل وربما كان لها أثر فاعل في شن المثقفين الإعلاميين معارك طاحنةً ضد محاور الثقافة الإسلامية المتوارثة، وهذا ما نشهده اليوم في سـاحة المراحل الغثائية المعاصرة.

إننا نعلم يقيناً أن التعفن قد أصاب الفكر المتمرحل لدى كـثير مـن الشـرائح الإسلامية، وأدل دليل على ذلك حالة الواقع الاجتماعي كله، وفي هذا الواقع المتردي جملةٌ من حملة الأقلام يبنون شخصيا ـم وتيارا ـم داخل أرائـك الظـل وطنـافس المكاتب على حساب إهانة الآخرين، ظانين بجهلٍ مركبٍ أ ـم حماةُ الاعتدال في رؤية البشرية، وحملة راية الوسطية في الفهم والوعي والاعتقاد والسلوك الاجتماعي، وأ ـم أنصار الإنسان وحريته، وأ ـم الباحثون عن الحقيقة الإيمانية.. «مراد اللّه في خلقه» .

وهذا الاعتقاد تتهاوى حصونه عندما يبدأ أحدهم معبراً عـن حفيظـة نفسـه ومكنون توليف ثقافته، ورسم دوائر طموحه أو نفثات عقدته الذاتية أو المركبة علـى شكل محاضرة أو تأليف أو مناقشة وغيرها، ويجب أن نقف وقفة صدق وتحـد واعٍ لردع هذه الأباطيل وتحجيم هذه الأضاليل، ليس رغبة في إسكا ا ومنع العمل ـا أو التعلق بأهدا ا؛ لأننا نعلم أن كل ممنوع مرغوب، وأن الحياةَ المعاصرةَ سوق توليـفٍ، يتأثر العقل والقلب والأمة فيها بموردوات العرض والطلب المتنافس على حساب قوة التأثير الإعلامي.. لا البناء الإسلامي.

ولكن لأن انطلاقنا في تحجيم هذه الرؤية نابع من أصالة الإسلام ذاته يوم أفرز لنا في خريطة مسيرة الأمة ومسيرة أفكارها ما يحصل من انحراف وانصراف وانجـراف، ولما كان هذا الانحراف والانصراف والانجراف دائراً في محاور « فقهنا المعرفي الثقافي» المألوف من مدارس الأمة؛ فلابد أن نعيد ألْسِنة وأقلام أصحابه إلى « دائرة التوسـط والاعتدال » وإن جار بعضهم على بعض؛ لأن الجور والبغي مسـألةٌ بشـريةٌ واردةٌ يغذيها الطبع، ويدعمها العلم والجاه، ويرفع ا الطموح عند البعض، والحقـد عـن البعض الآخر، وما اختلَفُوا إلاّ مِن بعدِ ما جاءَهم العِلم بغياً بينهم .

وهذه مشكلة الخلاف والاختلاف داخل دائرة الإسلام والمسلمين، ولها بلا شك حد معين لأن ما فوق الخلاف والاختلاف قواسم مشتركة تجمع المختلفين إذا أرادوا العدل.

وأما ما نشهده على عصرنا الأخير من ظاهرة الاستعداء الباتر والهتك الفاجر على تشويه المذهبية والصوفية وآل البيت مسألة فيها نظر، وفوق هذا النظر ترو واحتيـاط حتى لا نقع فيما وقع فيه الآخرون من الاستعداء الممقوت، حيث إن النصح والتوجيه والتقييم أمر مقبول من كل الأطراف.

وإذا كانت رائحة الاستعلاء ممقوتة عند أولي الإنصاف والتروي فكذلك رائحة الاستعداء في التناول ممقوتة لدى الجميع. ومرحلتنا المعاصرة تقف مسؤوليا ومسؤوليات مثقفيها عند القيام بما يلزم للمرحلة وإصلاح فاسدها، وكفى هذا المشروع نعمة وموقفاً ينطوي تحت ظله الكل ويتعاون على خدمته الجميع.

وليس إصلاح فاسد المرحلة بالتجني على ماضي التراتب الاجتماعي، ولا على كشف عورات الناس وإيراد مثالبهم ومعايبهم وحشد عبارات المعرفة المنطقية والشرعية لإدانتهم وإدانة مفاهيمهم، وإنما إصلاح الفاسد بتبني ترميم ما أفسدته مراحل التحول وسياسات التمول التي كانت مسؤولة مباشرة عن هذا التجني وتفريخ العقليات المثقفة الغثائية بالتبني.

فكثير من الأقلام المتحركة في واقع اليوم ربما لم يكن لها أي نصيب في بناء التركيبات الفكرية والعلمية الشرعية بالأمس؛ بقدر ما كانت -بحكم الاستتباع للمشاريع الاستعمارية- منفّذاً أو ملتزمةً بما يلتزم به الموظفون ضمن الدوائر الاستعمارية المبرمجة « مخدومية المرحلة » .

ويلزمنا وهؤلاء أن نفقه « الكلمة ومعناها » ، و« المرحلة ومبناها » ، ونعذر الضحايا، ونسهم في معالجة الجراح لا تعميقها.

ومهما يكن من تَغَلُّبٍ في المواقف وحربائِيةٍ في الصور والهيئات والكيفيات فإننا نرى أن الاستعداء المفتعل يجب أن تُحجم ممارسته وتدك تحصيناته ليبرز الشبح المختفي بقناعه خلف الجدران والحواجز، ونتحدث وجهاً لوجه مع أضدادنا، أو أن نتعانق مع أصدقائنا وإخواننا.

فلا بديلَ لنا عن واقعنا، ولا مجالَ للمثاليات البيزنطية من خلال عبادة الحـروف والكلمات في محاريب البغي والظلم، وواقعنا محتاج لنا جميعاً، ومثالياتنا التي ورثناهـا تدعونا أن نكون على غاية الشجاعة أمام جبناء المراحل.

فالجبانة سر ورثه الكثيرون من تركيبات الحياة المتناقضة، أمـا الشـجاعة فِعلّـة اكتسبها البعض من الاحتكاك بشبهه ومثله في معركة الصراع الدائر، ولهذا صـارت شجاعتنا جبانة، وجبانتنا شجاعة، ولا قيمة لهما جميعاً في واقع التأثير عند الحديث عن الإسلاميةِ الحَقّةِ شجاعةً أو جبناً.

إن علة المرحلة التي أطلق عليها بعض المثقفين والمفكـرين « مرحلـة التنـوير » -وهي ما ابتليت به الأمة الإعلامية في مرحلةِ الغثاء.. مرحلةِ ما بعد الحروب العالمية- أ ا مرحلة اجتثاثٍ مبرمجٍ لكل مقدرات الأمة الإسلامية قراراً ودولةً وحدوداً ودينـاً وثقافةً وسياسةً واقتصاداً وتربيةً وتعليماً وسيادةً وتاريخاً وحضارةً وتوثيقـاً، وعنـها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ولكنكم غُثاءٌ كغثاء السيل، يلقـى علـيكم الوهن» .

وهذه هي قضيتنا المصيرية وقضية الأمة الإسلامية في العالم، والإسلام عالمي الرؤية وعالمي المعالجة، والعلل التي وردت على المسلمين إنما وردت من سقوط قرارها ليصير في يد عدوها، وأول ما يجب استعادته لإصلاح الأمة استعادةُ قرارها، ودمغُ مواقـف وسياسة وثقافة عدوها ولو كانت تناقش المسألة بلسان الإسلام.

ولفقد القرار تاريخ محدد.. ولشمول مواقف وسياسة وثقافة العـدو مراحـل.. ومسألة استعلاء شريحة اجتماعية على شريحة أخرى واستعداء قبيلة على مثلها وانتهاز فئة فرصة التشفي من فئة أخرى إنما هي ثقافة وسخافة الهزائم المصنوعة.. والسياسات المدفوعة.. وثمرات المؤسسات والخطط والأفكار.

وقد سبق الإسلام كافة المنظرين والمفكرين وحملة الأقلام مـن كـل النمـاذج والأفكار، فوضع خريطة الانحطاط، وبين مواقع التعفّن وأبرز متارس عسكر المسـيخ الدجال في كل مرحلة وتحول.

والإسلام معالِج عدلٌ، أما الإسلاميون والمسلمون والمستسلمون فضحايا مراحـل الغثاء على كافة المسميات الفئوية بدءاً من مرحلة السقوط في أحضـان الاسـتعمار وسقوط قرار الخلافة، و ايةً بمراحل الاستهتار الإلحادي والاستثمار العالمي المعبر عنـه بالعولمة والعلمنة.

والمثقف الواعي، والمسلم الغيور، والمفكر الفذ، من يقرأ الكتاب والسنة لمعالجـة هذه المراحل ورفع مستوى ضحاياها إلى الإسلام، وليس عكس ذلك، فلسنا في حاجة لمثقف يستثمر فقه التحولات الماركسية والاستعمارية والاستشراقية لينسف بناء الأمة الاجتماعي والفكري بما فيه وعلى من فيه.. ليظهر علماً مفكراً مثقفاً مستلهماً مفهوم رؤيته من « خالص الكتاب والسنة » كما يعتقد، ويعمق جـراح التناقضـات الـتي أصيبت ا أمة الإحباط بعيد اقتسام الكافر تركة الرجل المريض.

وإذا كان « المتفيقهون والمثقفون » لا يريدون منا إلا أن نعترف زيمة مدارسـنا الإسلامية صوفيةً ومذهبيةً -لأن أسلحتهم الفتاكة ذات السم القاتل قد كشفت عوار التصوف، وفقهاء الحيض والاستنجاء، وسادة الحضرات والموالد، وأبى جيش المعسكر التنويري المدجج بالأسلحة الاستعمارية والأفكار الاستشراقية إلا أن نموت ويمـوت معنا كل شيء ورثناه عن آبائنا وأجدادنا- إذا كان الأمر كذلك فإننا نؤكد فشل ما يطرحون وفساد ما يعبرون ويقولون، وندعوهم إلى مراجعة أنفسهم وتحديد وجهات مصالحهم، باعتبارهم جزءاً من أمة قال عنها مولاها: كُنتم خير أُمةٍ أُخرِجت للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المنكرِ وتؤمِنونَ باللّه ، وباعتبار مسؤوليتنا المشـتركة

معهم ومع كافة الخيرين في هذه المرحلة لتجاوز عيوب المراحل وبناء الإنسـان مـن الداخل.

فالكتاب والسنة منهج أمة، وليسا مصدر نقمة.. وعِلم الإسلامِ بناءُ مراحلٍ وليس هدمها، ومن لم يفقه تحولات المراحل من داخل معاني الكتاب والسنة فلن يسـتطيع رسم حالا ا ومعرفة تطورا ا، حيث إن الواقع ومعايشة الإنسانية في مسيرة العالم إنما ترضخ لهذه الثوابت، ولا ترضخ الثوابت لرغبات الإنسان .

وقد قَصر بعض أوائل المفكرين والوجهاء عن الالتزام الكلي بالثوابت، فضلاً عن الخلف الذين أصا م داء الأمم، وداءُ الأمم البغضاءُ والحسد، وهي تتجلى واضحة في ثنايا عبارات المثقفين المعاصرين كما أخبر عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وأي بغضاءٍ وحسدٍ أشنع من هذه التحليلات والتعليلات التي جعلـت مـن آل البيت النبوي في مرحلة التنوير طواغيت وأصناماً، ومن أفكارهم ومفاهيمهم استعلاءً واستخداماً، وجعلت أيضاً من أتباع مدرستهم العالمية مشايخ مستغفلين ومستدرجين، ومن واقع المسلمين القائم على التحابب والترابط والانسجام -كما يشـهد بـذلك حقيقة حالهم الخاص- ماً بالخيانة والسخرة الآثمة والمخدومية الشنيعة.

ومع هذا وذاك فإن تدني الثقافة الإسلامية في كافة الأدوار المتمرحلة كفيلةٌ بـأن يحدث فيها ما يعكر سلامة العلاقات الاجتماعية، وهذا أمر بـديهي إلا في مرحلـة التنوير التي آمن بمنهجها جملةٌ من المثقفين المتأخرين واعتبروها من وجهة نظرهم ثورةً على الدور الصوفيّ المتعفّن على غير بديل.

والصوفية والتصوف شماعة المتأخرين الذين يلقون عليها كل تبعـات الانحـراف والفشل، مستتبعين في هذه الرؤية مدرسة الاستشراق والصليبية، التي فتحت أبـواب المعركة ضد المدرسة التقليدية على أبوا ا، وأنشأت العقول الربوية المستنيرة من داخل

مدرسة الخدمات والأزمات، وعندما نقول: « إ م مستتبِعون مدرسةَ الاستشراق والصليبية » فهذه مسألةٌ لا غبار عليها، لأن معركة « التصوف - المذهبية » بدأت أول ما بدأت بين علماء المذهبية الصوفية وبين الاستشراق والصليبية قبيل مرحلة الاستعمار، وطالت هذه المعركة منذ عصر الخلافة العثمانية تلك الدولة التي انتشر فيها مذهب التصوف والمذهبية على علاته في العالمين العربي والإسلامي، وكان مصدر قلق للقوى الاستعمارية واليهودية في العالم؛ لأنه كان ممثلاً برجل القرار عبد الحميد الثاني.. آخر خلفاء المسلمين.

واكتسب التصوف والصوفية العداء، لأنه كان مذهب دولة الخلافة، وتحملت القوى الاستعمارية والاستثمارية مسؤولية الحملات الدعائية ضد الخلافة ومدرسة التصوف، مستفيدةً من ضعف الدولة ذا ا ومن أزمات الصوفية وتجاوزا م.

ومن هنا بدأ الصراع..

وسقطت دولة القرار، وتجزأت المنطقة، وبدأ المشروع التنويري على أيدي السماسرة الأوروبيين وعملائهم المخدوعين(١).

وبرزت في عالم الأمة منذ تلك المرحلة الأزمات التالية:

١- سحب القرار الإسلامي إلى أيدي الدونمة وحزب الاتحاد والترقي.

٢- قيام الحرب العالمية لتقسيم تركة الرجل المريض.

٣- ظهور نشاط اليهود ومنح أرض قومية لهم في فلسطين بواسطة اتفاقية (سايكس بيكو).

---

(١) استسلمت الامبراطورية العثمانية في اية الحرب العالمية الثانية، وظلت الجزيرة العربية تحت حكم خمس دول مستقلة: الحجاز، نجد، شمر، عسير، اليمن، وكان مستقبل هذه الدويلات مرتبطاً بالصراع الداخلي فيما بينها تحت إشراف السياسة البريطانية.

٤- ظهور الثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧م.

٥- دعم الدعوة التنويرية في قلب الجزيرة العربية.

وتعايشت هذه البؤر المشتركة في وضع مضطرب وسياسة عالمية استعمارية قلبت موازين القوى الفوقية « السقوف السياسية » والقوى التحتية « التشكيلات الشعبية » مرحلةً بعد مرحلة، حتى مرحلة الاستعداء على البنية الفكرية المتوارثة، تحقيقاً لما أخبر به صلى اللّه عليه وآله وسلم في أمته: «لَتنقَضن عرى الإسلام عروةً عـروةً، كلمـا نقِضت عروةٌ تمسك الناس بالتي تليها: أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصـلاة، ورب مصل لا أمانة له» .

إنّ مرحلة التنوير التي برزت بعيد تقسيم تركة الرجل المـريض وبعـد مرحلـة الاستعمار وإعادة ترتيب الحدود العربية والإسلامية من وجهة نظر الإسلام ذاته إنمـا هي مرحلةُ غثاء، ومرحلةُ نقضٍ وقبضٍ، وشواهدها قائمةٌ في أوسع بلاد العالم العـربي والإسلامي سياسةً واقتصاداً وإعلاماً وتعليماً وتربية.

وإذا كان المتنورون قد صبوا جام غضبهم وعدائهم على الصوفية والتصوف حتى انتصروا عليهم وسحبوا من تحتهم بساط التأثير -بواسطة المؤسسات العلمية والفكرية المخضرمة، وبمساعدة عقليات الاستسلام والإعلام- ونجحوا بأقلامهم وأقدامهم مـن وضع مناهج التربية الحديثة، التي أفرغت الطالب على مدى مئة عام وزيادة من علاقته بالمذهب والتعليم الأبوي، وأدخلته إلى المنظمات السياسية والحزبية الشرقية والغربية، وعلمته الاستعداء على المعلم والإدارة والمدرسة والمجتمع، ثم على الحكم والأنظمة على غير مقاييس ولا ثوابت، وكبر هذا العقل المتمرد بين الإدارات والـوزارات وخدمـة المناهج الكفرية والتنظيمات السرية والجهرية ودعوات الإباحية والحريـة؛ إذا كـانوا نجحوا في ذلك فإنه لَحري بعد هذا كله أن يتجرؤوا على التاريخ والعلماء والأولياء، ويشكلوا مادته الثقافية صلصالاً ينفخون فيه الروح المادية بالتحليل العلمي والاستدلال

الأنثروبولوجي؛ ليقيموا حجة علمية -كما يظنوا- على الدور الصوفي وعلماء المذهبية الإسلامية .

وما الحجج والاستدلالات المرصوصة بعناية بين الحين والآخر إلا شـبيهةً بتلـك النصوص والاستدلالات التي يكتبها كل مستعدٍ على تاريخ الإسلام وتاريخ الخلفـاء وعلاقتهم بسياسة الحكم والعلم بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

لقد ج « المثقفون التنويريون » كما سموا أنفسهم منهجاً خطيراً في تناول التاريخ والعلاقات بين المدارس الإسلامية، وجعلوا مادة الخلط والخبط التي يعتمـدو ا أدلـةً وثوابت يحكمون ا على المراحل والمدارس والأفراد، وكما تحملوا مسـؤولية ت يـل القرآن على غير ما أُنزل وفسروه على غير ما فَسره الأوائل، واتخذوه عجينةً لأهوائهم وسياسةً لمدارسهم فلقد تجرؤوا أيضاً على كشف حقيقة هذا الشذوذ واعتـدوا بـه وافتخروا بسبقهم إليه.

وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآلـه وسلم: « إذا لَعن آخر هذه الأمةِ أولهَا فمن كان عنده عِلم فليظهره، فإن كاتم العلـم يومئذٍ ككاِتم ما أُنزل على محمد».

و ذا نرى أن تناول المثقفين المتنورين ومن نحا نحوهم في هذا ا ال لقضية الهجوم على المدرسة التقليدية يقف عند دراستنا المتأنية لعلامات الساعة، وما يقع للأمة بـين يدي الدجال وعلامات التحولات، التي يخبر عنها من لا ينطق عن الهوى صلى اللّـه عليه وآله وسلم.

وليست قضيتنا هي الرد على مؤلفٍ بعينه، أو كاتبٍ بذاته، أو موافقٍ لـه علـى نزواته؛ ولكنا نخاطب مدرسة بأكملها تحملت بجسارةٍ مسؤوليات الخدمة لسياسـات التحول والنقض على غير قرار إسلامي، بقدر ما منحتها القوى العالميةُ الإذنَ والقرار

الإعلامي الاستسلامي، فذهب تلامذ ا المخدوعون يبنـون شخصـيا م ومراتبـهم الاجتماعية من خلال هدم مدارس ومراتب الآخرين بشبهات ومتناقضات أشبه مـا تكون بحصان طروادة.

إن هذا التنوير الذي سمح الكافر به في الأوطان المستعمرة هو المتنفس السياسـي والاجتماعي لقوى التنوير أمام أضدادهم الصوفية وآل البيت، وصعب على المتنورين تقديم الولاء لآل البيت النبوي، لأن البشرية كلها من آدم، ومن أبنـاء آدم اليهـود والنصارى، الذين استساغ التنويريون خدمتهم في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم وحمل هم معركة القومية العربية ضد القرار الإسلامي ومدارسه التاريخية.

إن معركة الصوفية والمذهبية مع أضدادها معركةٌ اتخذت أدواراً متنوعـة، وقـد وصلت اليوم إلى دورها الأخير، هذا الدور الذي استثمرته الصحوة المعاصرة لتثبيـت سياستي العلمنة والعولمة وخدمة برامج الكافر في الإدارة والاقتصاد والحزبية والفئويـة والتيارية والمصارف الربوية والمعاملات التجارية وتأمين الوظائف والمراتب الاجتماعية بين أبناء آدم، مقابل رفع وتيرة الحرب الإعلامية ضد مدرسة التصـوف وآل البيـت والمذهبية، وتفصيل عورا م وعيو م ونقائصهم، والتشفي من علمائهم وأوليـائهم، ودحرهم مرحلة بعد مرحلة إلى زبالة التاريخ، وليس إلى جهنم، لأنه لا يملكها أحـد، وإن كانوا قد رشحوا كل أبناء فاطمة الزهراء للسكنى المشتركة مع قارون وفرعـون وهامان، واستصفوا لأنفسهم جنة عرضها السماوات والأرض، ونحن لا نعترض على قضاء اللّه وقدره، وقد قال في كتابه: ﴿تِلْكَ الجَنَةُ الَّتي نورِثُ مِن عِبادِنا مـن كـان تقِياً﴾، لكن الذي نعترض عليه برامج الكفر، وسياسة مخدوميه. واستقطاع أراضـي الجنة لسماسرة المدرسة الإعلامية المعاصرة.

وخير لهم ولنا أن نفيءَ إلى أمر اللّه.. ونصنع طريقاً وسطاً لا غُلُو فيه ولا إفـراط ولا تفريط.. ونفوت الفرصة على المستثمرين والمستعمرين.. فهل من مستفيق؟

إذ لا مخرج لنا من هذه الفتنة سوى الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، كما أنـه لا مفر لنا من الاعتراف بسذاجة الكثير منا حتى تأخرنا عن منهج الاعتدال والتوسـط، وتجاوزنا الحدود الشرعية في كثير من معاملاتنا للآخرين.. وكما تدين تدان.

والاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه تلزمنا جميعاً إعادة النظر في كثير من الأمور ليس استرضاءً للآخرين، ولا طلباً لعطفهم وشفقتهم، فمن كان في الغثـاء والقـبض والنقض والحيل والربا واستتباع اليهود والنصارى في الاقتصاد والتربية والتعليم وهلم جرا لن يكون أقدر على إعادة ترتيب الأمة إلى الكتاب والسنة والسلفية الحقة.

وكذلك حال المنتمين إلى مدرسة التصوف والمذهبية ومن سار بسيرهم اليوم، فما هم إلا ضحايا مراحل التحول والتقولب والتمول، وقد نسـي النـاس التمـذهب والتصوف، وفتح باب «علمنة الدين وعولمة التدين» .

لقد ثبت لنا يقينا أنه لن تعود لنا ذه الرؤى الجديدة قيمةٌ ولا دين ولا دولةٌ، وإنما هو مشروع من مشاريع الاستثمار، فغالب شرائح آل البيت والمشايخ والقبائل وفئات ا تمع الإسلامي والعربي قد أعيدت صياغتها وصناعتها خلال القرن الماضي وما قبله لت ل عن مستوى معرفة وعلم وعمل الأوائل أهل الذوق والعلم والإيمان إلى مستوى عبادة العجل وبيع الدين بالدنيا، ولهذا تجرأ المتقولون وتعدى المتمولون، قال تعـالى: وإِنْ تتولوا يستبدِلْ قوماً غَيركُم ثم لا يكُونوا أَمثالَكُم .

إن مشكلة الصراع وخدماِته المريضة عائدةٌ إلى صنفين من المثقفين: مفْرِطٍ مندفع، ومفَرط منتفع.

وكلا الفئتين هي علة المنهج الإسلامي ومحور الصراع الإعلامـي، وكلاهمـا لا يصنع حلاً ولا يساهم فيه، وغاية ما يصنعه وضع الزيت أو الوقود على النار.

والمسألة بالنسبة للإسلام هي مسألة أخلاق، والأخلاق هي المعادل الثالث في نشر الإسلام، فالمعادل الأول كتاب اللّه، والثاني سنة نبيه، والثالث أخـلاق النبـوة، ولا تطلق مسألة الأخلاق على علا ا بل تقيد بأخلاق النبوة، وأخلاق النبوة ميراث.

والمتناول لضده وخصمه ومعارضه على غير ثوابت أخلاقية لابد أن يتجرد مـن معنى الاتباع للمتبوع الأعظم الذي يستدل برسالته، فيكون استدلاله مجرد مادة نصية، أو قل: «نصاً دستورياً».. وهذه علة المثقفين اليوم، وهم المسـؤولون عـن خطـورة التناول المسمى في الإسلام بـ «نقض العرى»، ومنهم من يعلم، ومنهم من لا يعلم.

وما كان العلم في مدرستنا الإسلامية علم السطور المكتوبة والمراجـع المشـحونة وحدها والاستدلال النقلي عن المؤرخين والرواة، فهذه حلبة واسعة الانطلاق كـثيرة الانزلاق، وإنما هناك علم السند وعلم الأخلاق، وهي المواقف، وموقعهـا صـدور العلماء وشرف الطلب الذي حملوا أمانته بالسند المتصل، وأمـا غالـب المنـدفعين والمنتفعين في كل عصر فهم ممن نالوا نصيباً من علم التصانيف والتآليف وتدرجوا في شهادات المدارس والتوليف، يهدمون التركيبات الفكرية والاجتماعية على أهلـها.. حيث لا إسهام لهم في بناء التاريخ الإنساني، ولا يفقدون في الهدم غير إزاحة الكابوس الذي ينازعهم المظهر والمقام الاجتماعي، وهذه هي مشكلة العقدة والطموح.

وأما علم التلقي والأسانيد فهو علم يجمع بين الأخذ بـالنص المكتـوب، وبـين نورانية المعرفة التي تقذف في القلوب بلْ هو آيات بينات في صدورِ الّـذِين أُوتـوا العِلم ، والفارق الواضح بين العِلمين والحالين: ثمراتِ المعرفة، وكيفيـاتِ التنـاول للمواضيع والمواقف والمراحل.

ونحن في مرحلةِ الغثاء -مرحلةِ بروز علامات الساعة- نرى أن الوقت قد حـان لفهم مدلول الحديث الشريف القائل: « من أحيا سنتي عند فسادِ أمتي فله أجر مئـة

شهيد))، والسنة هنا هي المواقف الأخلاقية. ويدل عليها أيضاً قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي عضـوا عليهـا بالنواجذ)) .

والسنة في هذا الحديث إنما تفسر بالمواقف، إذ ليس للخلفاء الراشدين سنة بمعـنى سنة الرسول القولية والعقلية والتقريرية، وإنما المقصود سنة المواقف في الفتن.

وإننا اليوم أمام هذا المنطلق الخطير والشر المستطير الذي يخندق ا تمع ويبرزخـه إلى فتات متناحرة لفي حاجةٍ إلى علماء ومثقفين من نوعٍ إسـلامي، لا مـن واقـع إعلامي، فالإعلام سياسة خبط وخلط، والواقع شاهده العدل، والمثقفون الإعلاميـون يهدمون ا تمع التقليدي بعاداته الباقية على أهله، إذ ليس لهم فيه أدنى بنية صنعوها أو أقاموها، فماذا يضرهم إن هدموا كل شيء على رؤوس الآخرين. يقول مـاركس في إحدى مقولاته: ((أخربوها فليس لديكم ما تفقدونه فيها)) .

والمثقفون الإسلاميون يحيون سنة المواقف وسنة الأخلاق، ويعـذرون الجميـع ويتجاوزون عن الأخطاء، ويظهرون المحاسن، ويخفون المساوئ، لأنه لا غرض لهم في التشهير بالآخرين، ولا هم غير إصلاح ما فسد، وإعادة الأمة إلى طريق الرشد، ﴿إنّما المؤمِنونَ إِخوةٌ فأَصلِحوا بين أَخويكُم﴾ .

فأين هؤلاء؟ ومتى يبرزون على ساحة العمل؟ وايم اللّـه إن ا تمـع الإسـلامي لمتلّهف إليهم وإلى مواقفهم.

أين الرد على هؤلاء؟

قال بعضهم: لم لا تردون على خصومكم المعتدين؟

قلت: ليس لنا خصم غير الكفر، وهؤلاء إخوان لنا، فَهموا فَهماً فعبروا عن مستوى فهمهم، ومثل هذا التناول الذي فهموه لا يحتاج إلى رد أصلاً لأن الرد فذلكةٌ واستدلال، واعتراف بقبول منهج الجدال بين متناقضين أو معاديين، ونحن نرى أن المشكلة ليست مشكلة «فلان بعينه» وإنما هي معركة مدارس وتوجهات مراحل، ولكل مدرسة أسلوب ولكل مرحلة بداية ونهاية، والكاتب وأمثاله يتحدثون عن معاناة، ونحن نخوض معركتها مع أنفسنا ومع غيرنا.

ونحن نرى أن بعض طرح الكاتب ليس بعيداً عن حقائق الحياة؛ ولكن أسلوب الطرح كان أسلوب استعداءٍ وتشهيرٍ أكثر من أن يكون أسلوب نصحٍ وتنويرٍ، وفيه روائح الحقدِ الطبقي الإلحادي، وفي طرحه مواقف ومماسك مخالفةٌ للحقيقة من أساسها، ومكذوبةٌ على الله ورسوله، وقلب للحقائق، وحيلةٌ وتثَعلُب ومراوغة.

وفي مواقع أخرى خلط بين المدارس لغرضٍ في نفس الكاتب، واقتداءً بمدرسة الغثاء المتبنية هذه المواقف، كخلطه بين الصوفية والشيعة بحضرموت، وبين مواقف الحياة الاجتماعية التقليدية ومدارس اليهود والنصارى.

وغالب ما يطرحه باسم الدفاع عن الإسلام والدين، يقابله بذكرِ أسماءِ العلماء والأولياء على صفة الاستنقاص والسخرية والتهكم والازدراء، مع عدم معاصرته لهم أو معرفة حقائق مواقفهم الإيمانية بقدر ما يستنتجه من القصص والنصوص التي يصهرها بمفاهيم غريبة عن الواقع، وهذا اعتداء سافر على عقائد الآخرين، كما أنه ينهج منهج الاستدلال الانتقائي، وهي مدرسة ولِع بها الغثائيون المعاصرون، فيأخذون من حياة الفرد والمدرسة ما يستدل به على فساد المنهج، ويتجاوزون كافةَ الإيجابيات؛

ليصوروا الأمر بأنه خروج ومروق وكفر وضلالة، وحينا يمدحون موقفا من أحد رجال المنهج التقليدي أو يستفيدون من مقولاته لتأييد رأيه ضد قومه.. ثم ينسفونه مع مدرسته في موقع آخر، بحيث يربكون القارئ ويشتتون ذهن المتأمل، ويلزمون المتهم بتهمته.. وهذه سياسات مكاتب التحقيق.. وليست كتابات الراغبين في سلامة النقل والتوثيق.

ومثّل هذا كمثَل من ينتقي من القرآن آياتِ العتاب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ويقيم ا استدلالاً على تنقيص مرتبته ومواقفه، وهذا ما فعله المستشرقون وساروا عليه في منهجهم النقدي للإسلام كله.

وتبعهم هؤلاء المثقفون وللأسف في هذا الأسلوب البدعي الخطير، وأعظم من هذا أن يبرز الكتاب بعد أن راجعه أحد علماء حضرموت الأفاضل الذين تتطلع المدرسة إلى كلمةِ حق تبرز من لسانه لمدرسته ومدرسة سلفه؛ ولكن هيهات، فالطريق التي جتها فئة المرحلة يبدو أ ا لا تريد الرجوع إلى السلامة والمعالجة، وإنما تندفع لشق عصا ا تمع المعاصر على حساب هتك الآباء وإهانة الأبناء الأواخر، ولابد لنا من وقفةٍ مع العبارات وتمييزٍ بين الإشارات، فلا يصح إلا الصحيح، وما زاد على ذلك فيحور على متقَوِله، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

مدرسة حضرموت بين الأصالة والغفالة

مرحلتنا المعاصرة في حاجة ماسة لجهود المفكرين والباحثين الذين يسهمون في إصلاح ما أفسدته المراحل وهدمته سياسات التغريب، والواقع الاجتماعي اليمني وخاصة حضرموت واقع يتمتع بمميزات، وهو كما وصفه مؤلف «الفكر وا تمع في حضرموت» بقوله : « والإنسان في حضرموت أثر وتأثر بفكره ونشاطه على امتداد

الأرض الإسلامية حتى وصل إلى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً وإلى مشارق الهند والصين وأواسط جزر الشرق الأقصى شرقاً وأحاط بسواحل وجزر شرقي إفريقيا كإحاطة السوار بالمعصم إلخ.. » [1] .

والعجيب أن هؤلاء الباحثين القادرين على رسم المكانة التاريخية لمدرسة حضرموت يغفِلون أو يغفُلُون عن تقييم الأسباب والمسببات التي هبطت بالواقع اليمني عموما أو الحضرمي خصوصا، وينصبون محاكم الفكر على شرائح معينة هي بانية المنهج التقليدي وعامل هام من عوامل انتشاره.

كما أنها أيضا جزء من المجتمع المظلوم المنهار أمام سياسة الاستعداء الاستعماري والسياسي العالمي الذي كان مسؤولاً عن مسخ المعالم الشرعية في التركيب الاجتماعي المهزوز.

والدراسات الإيجابية التي تحتاج لها المرحلة حقاً أن نقف بشجاعة أمام الأخطاء المتراكمة في الواقع المستعمر والمستثمر لنحدد بشرفِ العقيدة والإسلام ومنظورِ الوعي والحقيقة مواقع التعفن في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ثم أدوار السياسات المتمرحلة المغذيةِ شرايين الصراع الطبقي والاعتقادي عبر تاريخ التحولات القريبة والبعيدة.

فراتب الحداد مثلاً- وهو ما ضرب المؤلف به القياس- « هو جملة من الأدعية الدينية تقرأ جماعياً بين صلاتي المغرب والعشاء في مساجد تريم وضواحيها، وهو عمل

---

(١) « الفكر والمجتمع في حضرموت » ص٧.

تعبدي رائع في مجتمع أمي[1]؛ لكنه يفقد غرضه أمام جيل جديد من المتعلمين الذين أخذوا يحيون حلقات الدرس والتعليم في المساجد[2] » .

ولم يكن المجتمع الحضرمي مجتمعاً أمياً يقف عند الأذكار والحضرات إلا عندما ضرب الاستعمار والإلحاد معاول المدرسة ومواقع تربيتها وتعليمها ليفسح المجال لجيل جديد من المتعلمين تخرجوا من مدارس النقض والقبض الغثائي ما بين سياسة استعمار وبرامج استهتار واستثمار، وليستغلوا ساحة المرحلة وتوجهها الإيجابي لجمع الكلمة بين أهل اليمن الواحد، فيقوموا ببقية الأدوار الماسخة التي بدأها البرنامج السياسي العالمي قديماً ضد مدرسة حضرموت.

تلك المدرسة التي عبر عنها المؤلف صدقاً بقوله: وكل ما جرى في حضرموت من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية هو تاريخ وتراث إنساني متكامل ضمن مجتمع هذا الإقليم الشرقي من اليمن وساهم في تكوينه كل فئاته بطريقة أو بأخرى، فهو ميراث للشعب كله سواء منه العظيم المشرق أو الغث المظلم.

---

(١) إنه ليس بأمي في الحقيقة، بل كان أفضل من عهود الغثاء التي نحن فيها، وكان الراتب آنذاك مجرد استراحة روحية خلال برنامج علمي مشحون بالقرآن ودروس الفقه والحديث والأصول في مساجد تريم وغيرها.

(٢) تابع ص٦ من كتاب « الفكر والمجتمع في حضرموت » ، وهذه العبارة من المؤلف تشير إلى سطحية في المعالجة، إذ هو تكلم عن مرحلة ضعفت فيها مدرسة الإسلام كلها، وتحركت فيها القوى المعنية بإبراز جيل المتعلمين المشار إليهم ليس لحلقات العلم والدرس، وإنما لمنافسة من بقي وما بقي من آثار المدرسة التقليدية.. وهذا ما يشهده الواقع ويعانيه، وليعد الراغب إلى أسلوب الدراسة الجديدة ومحاور المواضيع المطروقة ليرى رائحة الاستعداء والمنافسة باسم الدين.

ونحن نعرضه هنا على هذا الأساس والمنوال فهو من الجميـع وللجميـع دون أن يستأثر به أحد أو يدعيه دون غيره[1] » .

هذه هي مدرسة حضرموت العالمية في ذلك العصر والمؤلف ذاته يعرف عناصـر تركيبا ا وعادا م وتقاليدهم ومدرستهم الإسلامية المتفردة، وبتلك التركيبات الفكرية والاجتماعية قبيل دخول المدرسة الاستعمارية كان الجميع يعرفـون قـيم الإسـلام وعلاقته بالتراتب الاجتماعي المتماسك، و ذا التراتب انتقل الفكر الإسـلامي مـن مشرق اليمن إلى العالم، ولكل مجتمع نقائص، ولكل تركيب اجتماعي هفوات.

أما بعيد مرحلة الغثاء وبروز جيل المدرسة الإعلامية وسقوط الثقافـة والبحـث الفكري في غياهب الظلمات العرقية وسياسة الاستشـراق المـدمر وسـيادة الفقـه الاشتراكي والقومية والحزبية والتيارية والفئوية السياسية والدينية فلن يتأتى لمثقـف أو باحث أن يرقى إلى سد ثغرات الماضي ودمل جراحه بإسداء نصيحة تعيـد شـرف العلاقات الإسلامية بين فئات ا تمع الإسلامي الواحد بقدر ما يعبر عـن محاكمـة خطيرة تبرز مدى استتباع أطروحات « انجرامس » ومفاهيم « سرجنت » الذي كان له قصب السبق في تضليل وتحليل الواقع الحضرمي على أساس من الطبقية والعرقيـة وإلهاب الفتنة تحت مسمى السيادة العائلية، ليفصم بين تشكيلات مدرسة حضرموت فيصبح للسادة دين وللبقية شرائح ا تمع دين آخر.

---

(١) هذه العبارة من المؤلف لو اهتم ا لكانت كافية لإعذار التاريخ التقليدي بشـقيه، سـواء السادة والمشايخ الذين كانوا أهل استعلاء على الآخرين كما يتـهمهم بـه، أو الشـرائح الاجتماعية الأخرى المستخدمة والمسخرة بجهلها وسوء فهمها لحرية الإنسان، فهذا مـيراث الشعب كله سواء منه العظيم المشرق أو الغث المظلم.

والعجيب أن المؤلف قد أشار إلى إحساسه بخطر ما سيكتب فقال: ونحن إذ نتناول الماضي لا نريد أن نسيء إلى أحد أو نستفز أحدا أو نغمط شأن أحد أو نهمل دور آخر أو نعلي قدره، وإنما نريد أن نتعلم ونعتبر من الماضي كدرس وعبر، فلكل مرحلة رجالها وظروفها وأفكارها، ومن الخطأ بمكان محاكمة الماضي بظروف الحاضر.

ولكن التناول الذي بنيت عليه تفصيلات البحث الفكري كان في أكثر من موقف مجرد إساءة واستفزاز وغمط لأقوام وإعلاء لآخرين ولا جديد، حتى المعايير الأخلاقية الثابتة التي هي قيم الإسلام الممتدة من تعاليم الحق المطلق والعادل الأرحم، لم تسلم في حديثه عنها من مقص الهندسة الفكرية المخضرمة لمصلحة المرحلة وسياسة التجمل عند الآخرين، ولن تشفع الحبكة الثقافية أو الصياغة المبطنة لإخراج الموضوع عن سياسة «الاستعداء والاستعلاء» التي نسبها إلى شريحة اجتماعية معينة . فخذ مثلاً محبوكاً : «ونحن نعلم يقيناً أن الأفكار الخاطئة التي يفرضها عادة ذوو الجاه والمال في المجتمع تكريساً لمصالحهم وامتيازاتهم كلما تراكمت وترسخت في البناء الاجتماعي حتى أصبحت تمارس كنظم وعادات وتقاليد، بل وعبادات أحياناً كان اجتثاثها أو إصلاحها من أصعب المهام الجهادية للمصلحين الاجتماعيين إلخ.. » [1] .

والأفكار الخاطئة من وجهة نظرنا هنا النظر من العقليات المفكرة للمصلحين الاجتماعيين بأنهم «جهاديون» من منظور إسلامي، حيث إن الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي فكرة مطاطية يدخل تحتها الغث والسمين، والمندفع والمنتفع، ولا نجد قاعدة محددة تضبط لنا كمسلمين مفهوم « الإصلاح الاجتماعي » وعلاقته بـ «المصلح الإسلامي» .

(١) المصدر السابق ص٧.

وإذا كان الفكر الإسلامي -كما عبر عنه المؤلف - لم يسلم من رشفات تحريفية وتسللت إليه بعض الترشيحات الفكرية الزرادشتية الفارسية والسبئية اليهودية مما أدى إلى ظهور فرق فكرية مبتدعة وضالة قد تنبأ ا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحذر منها؛ فما بالنا بعجينة الأفكار الغثائية التي قدمت خدما ا السخية لمراحل الاستعمار والاستهتار، ثم الاستثمار على حساب مدرسة الصالحين الأبرار.

وقد علمتنا مراحل الحياة كيف تحدث باسم الشعوب المسلمة مفكرون جهاديون يعرضون علينا في ساحة ا تمع الأمي قول الله تعالى: ﴿مِن المؤمِنين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليه﴾ ليهب المسلمون البسطاء يلهون أكفهم صراخاً وحناجرهم دعاء بالبقاء وطول العمر للدجالين وسماسرة الأفكار المستوردة، ولم يكن أحد حينها ضحية لهذا المسخ المدجج غير من يقصدهم مؤلف الكتاب بقوله: يفرضها عادة ذوو الجاه والمال في ا تمع تكريسا لمصالحهم وامتيازا م.

ولعلنا أسأنا الظن بالمؤلف، فهو قد يقصد السياسيين والحكام في بعض المراحل؛ لكننا لم نجد ما يؤكد ذلك، فآثار السياسيين والحكام وامتيازا م المكرسة لم يتناولها أحد من مفكري المرحلة الإسلامية المعاصرة، وإنما تفرغوا لما يثلج خواطر القتلة الماضيين ويدعم مواقف السحل والقتل والخطف في رجال مدرسة حضرموت التي لا زال يرعاها -أي: هذه المواقف- حملة الأقلام، ويدافع عنها مثقفو أبراج الترف والاستسلام.

لقد كان جديراً بنا نحن المثقفون في مرحلة الصحوة ونحن نتطلع إلى صحوة إسلامية تشدنا إلى الدور التوحيدي الجهادي كما عاشه المسلمون في صدر المرحلة[1]؛ كان جديرا بنا أن لا نخلد إلى الأرض ونكرس جهودنا في تحليلات «انجرامس»

(١) انظر المصدر السابق ص٩.

ونظرية «سرجنت» في التراتب الاجتماعي الحضرمي؛ لنظْهر أبطالاً جهاديين في مجتمع المتناقضات الفاشل، وكتاباً مثاليين في مرحلة الصراع الاعتقادي القاتل، بل علينـا أن نضع مشروع الإسلام الحق، ونكتب من أجل بناء الأمة من جديد، بناءً يعذر الجميع في أخطائهم، ويحمل هم ربطهم بمدلول الوحدة الإسلامية القرآنية على غير إفراط ولا تفريط.

إن ما توخاه المؤلف على حد تعبيره « في فصول هذا المؤلف المتواضع في طريقتـه عما سبقه من مؤلفات تدوين تاريخ وتراث حضرموت » [١] يدل على شـذوذه في التناول وتجاوزه الحد المرغوب في العلاقات والتعامل، مع أننا نرى من خلال المقارنـة العلمية لما كتبه وما قد سبق به المستشرقون وحملة الأقلام المحرفون أنه قد حذى حذْو الكُتاب من غير المسلمين.. ونحى في التعليل منحى مدرستين مخالفتين:

الأولى: استشراقية صليبية [٢].

الثانية: غثائية إعلامية.

ويؤسفنا جداً أن نعبر ذا الأسلوب، ولكن الحق مر وأمر منه الدفاع عنه أمـام أدعيائه، والثقافة ووسائلها ثمرة من ثمرات المدارس ذا ا كما عبر عنها المؤلـف ذاتـه فقال: « وا تمع في حضرموت كغيره من ا تمعات العربية والإسلامية تعاقبت عليـه أفكار وثنية وتوحيدية وإباضية وسنية وصوفية وتنويرية بتيارا ا الإسلامية والغربيـة والشيوعية » .

---

(١) المصدر السابق ص٩.

(٢) راجع ص٦٢ من الكتاب لترى نقله عن المستشرقين، وهو المنهج الذي سـلكته مدرسـة الاستشراق في دراسا ا المعاصرة، راجع « اليمن كما يراه الآخر » .

ولم نفهم مدلول الخلط في العبارة الأخيرة: « وتنويرية بقيادات الإسلامية والغربية والشيوعية » إلا إذا كان المؤلف قد اعتبر الحركات الإسلامية الجديدة مــن صــنف التنوير المتأثر بالغرب والشرق، فهذا ليس ببعيد من الواقع، من حيثيات التأثر، لا من حيثيات المبدأ والانتماء.

كما لم نفهم مدلول المقارنة بين الاعتزاز بالتراث الذي عبر عنه بقوله: « وتــأتي معزتنا له من خلال غربال الباحثين الجادين ليفرزوا القش من الحب، ومنخل المدققين ليفصلوا النخالة عن الدقيق، ليستساغ تناوله من قبل أجيال الحاضر والمستقبل.

وكما اجتهد الأسلاف ومن سبقونا من الباحثين الحضرميين في إطــار أحــوالهم وظروفهم ندقق نحن ونستخلص النتائج في إطار جهدنا وعلمنا إلخ.. » [1] .

أما نحن والعالم الإسلامي فتأتي معزتنا له من حيثيات عظمة ذات التــراث وقــوة مادته الإسلامية ونعذر العلماء فيما اعتقدوه أو اجتهدوا فيه وأخطؤوا، ونكمل بعلمنا وجهدنا مسيرتهم على ذات الثوابت التي ساروا عليه دون انتقاء ولا نخل، لعلمنا يقيناً أن ما سماه بالنخالة إنما وردت على المجتمع الإسلامي بعمومــه والــبلاد الحضــرمية بخصوصها لما فتحت مدارس الغرب وعظّمت توليفات الشرق وظهر الجيل الذي قال فيه من لا ينطق عن الهوى: « نخُالة كنخالة الشعير لا يبالي اللّه بهم في أي وادٍ هلكوا».

فالنخالة إنما تكون في الأفراد والتركيبات الفكرية المتمرحلة، أما التراث الإسلامي فهو ناصع بذاته، وإن كان أهله قد قصّروا عن الأخذ به فهم ضحايا مراحل ولابد من كشف أقنعة الزيف لإعادة المجتمعات إلى نصاعة الإسلام على أي صفة من صــفات التراتب الاجتماعي المعاصر.

---

(١) المصدر السابق ص٩.

إن مناخل المدققين المشار إليها في الكتاب المذكور إنما هي عبارة عن آراء جماعة من تلامذة المدرسة الغثائية، المتبرعين بنقد وتقييم شرائح اجتماعية، تعيش أيضاً ثمرةً من ثمرات المعاول الغثائية ذاتها، وما هذا إلا صراع اجتماعي بين فئات انقطعت بفعل الثقافة الواردة الغازية عن ثوابت العلاقات الإسلامية الصحيحة، وما يدور من نخل وتمحيص لا يتعدى كونه مادة صراعٍ إما طبقي أو اعتقادي.. لا يعود في جملة تحقيقاته وتمحيصاته لخدمة الإسلام الجامع، بقدر ما يشفي غليل القلوب المستعدية على بعضها البعض في واقع الحياة الغثائية.

ويدل على ذلك واقع هؤلاء المفكرين اليومي وعلاقتهم بموضوع العلم والدعوة إلى اللّه وتمثيلهم السلبي لها كرؤية جهادية إيمانية عِلمية عملية تدل على معنى الحديث: « الدين المعاملة » .

ويعرف هذا الفهم السلبي من خلال التأمل بروية لما ورد في الفصل الثاني حول مسألة الأصل الواحد للبشرية، وقد قال فيه:

« أصل البشرية واحد ونسبها واحد، والناس كلهم عبيد اللّه، وأي اصطفاء يبعد إنساناً أو فئة من الناس عن أصله الطيني وعن عبوديته للّه سبحانه وتعالى فلا أساس له، وهو باطل وافتراء على رب العباد » ، إلى أن قال: « وكل ما ترتب على هذه النسبة من فضل وامتياز لفرد دون الآخرين والفئة دون الأخرى فلا أصل له، ولم يرد في القرآن والسنة أن نبينا محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم خلق من نور اللّه وأنه أصل الكائنات ثم نسخت منه العوالم كلها كما ورد في « شمس الظهيرة » » [١] .

ومما يؤسف له أن هذا الخلط المقصود هو أسلوب المدرستين التي ذكرناها آنفاً، وإلا فالحقيقة التي تدين بها الأمة -ومنهم علماء حضرموت ومن ينتمي إلى مدرستها-

---

(١) المصدر السابق ص٢٩.

أن أصل البشرية لا خلاف فيه، ومسألة النور المحمدي مسألة تناولها العلمـاء بمزيـد مقال تفصيل وليست موقع استدلال المؤلف أصلاً، بل هي أكبر من موضوع تناولـه، ويبدو أن هؤلاء المخضرمين من مثقفي مرحلة الغثاء قد تضافر وعيهم علـى شـطر شريحة من الإسلام وشطر شريحة من أبنائه بعيداً عن الحقائق المألوفة والمعروفـة بـين المصلين والمتعبدين بشبه علمية لا يعرفون حقائق مبناها فضلا عن تعليل معناها.

وإذا كان صاحب « شمس الظهيرة » قد أورد الحديث الذي استدل بـه المؤلـف على أن مدرسة حضرموت ترى أن رسول اللّه أصله نور وليس من جنس الآدمـيين، فعلى المؤلف أن يورد المقصود الذي أراد المشهور أن يشير إليه بهذا الاستدلال، لا أن يصدر المؤلف حكماً قاطعاً يغري به الجهال، ويبرز بسوء نيته حكما في مسألة النـور المحمدي خلافا لما ورد فيها من مختلف الأقوال.

إن مسألة الأصل الطيني لا خلاف فيه، ولكن التفضيل جرى مجراه من حيثيـات طهارة الأصل ونقاء الفرع وشرف التدين ومكانة الأعمال.

وما قاله اليهود والنصارى عن أنفسهم رده اللّه عليهم، ومـا نسـبه اليابـانيون لإمبراطورهم هباء منثور، ولا علاقة لها ألبتةَ بمسألة الطرح الإسـلامي عـن شـرف الأنساب وسلامة الأحساب؛ ولكن الفكر المركب من هذا الخليط المتناقض يليق به أن يحشر مدرسة حضرموت وأقوال رجالها في هذا التعليل الواهم.

فالإسلام يتحدث عن الأنساب والسلالات والذريات وطهارة الأصول وسـلامة الفروع مقرونة بالمنهج والشريعة والعفة على أساس من التفريق بين سفاح الجاهليـة وسلامة الإسلام وطهارة الأنبياء ﴿ إن اللّه اصطَفَى آدم ونوحـاً وآلَ إبـراهِيم وآلَ عِمرانَ على العالمين . ذُريةً بعضها مِن بعضٍ واللّه سمِيع عِلِيم ﴾ .

والنور المحمدي هو ما أودعه اللّه من العفة والطهر النوراني في صلب آدم يتقلب من أب إلى أم، ومن صلب إلى رحم حتى وصل إلى أبويه وهما لم يلتقيا على سفاح قط، وتقَلبك في الساجِدِين .

والخير لنا جميعاً في هذه المسألة الصدق والأمانة في النقل والحكم، وما فوق ذلك م غثائية تتبناها في واقع الثقافة المعاصرة محاكم وشخصيات تأكل الدنيا بالدين وللأسف.

إن مسألة الاصطفاء والتعالي الذي حللته سطور الكتاب قد تدخلنا إلى مسألة العلمنة للدين ونصوصه، وهذا هو ما يتناسب مع العقليات المتأثرة بالمدرسة الاستشراقية، أما الحقيقة العلمية في هذه المسألة من وجهة نظر الإسلام الخالص ففيها تفصيل وطول بيان، مع أن المؤلف خبطَ خبط عشواء في مسألة اختيار اللّه للأنبياء فقال: « والاصطفاء الرباني -والذي يعني اختياره عبداً من عباده البشر لحمل الرسالة الإلهية وتبليغها للناس- لا يقوم على أساس النسب الرفيع أو المال العريض أو الجاه العريق والرغبات البشرية أو اعتبارات اجتماعية، بل هو إرادة ربانية، وهو يعلم أين يضع رسالته » .

وكأني ذا المبدأ الواعي من وجهة نظر المدرسة الاستشراقية التي يقتدى ا صاحبنا يقول: « كان بالإمكان أن يحمل الرسالة ابن زنا لا أصل له ولا نسب، فالرسالة لا يقوم حملها على أساس النسب الرفيع » .. ويا سبحان اللّه.. إن الاندفاع والطموح والعقد المسيطرة على العقل المستسلم المعاصر قد تفقده توازنه!

ولو كان فقد التوازن يجتاح قضية التراتب الاجتماعي بين السادة مثلاً وغيرهم لقَبِلْنا فيه النزعةَ الذاتية؛ ولكن المشكلة عندما تخرج من طور التوازن إلى الاندفاع

المشين وتناول الذاتِ المعصومة بعصمة اللّه ليسقِط قيمتها الاعتبارية تشفّياً من «شريحةٍ اجتماعيةٍ يعاصرها المؤلف وأمثاله» .

إن التشفي والعقد المركبة تقبل في واقع الغثاء من كلا الطرفين في التركيبات الغثائية؛ ولكن عندما يبلغ الأمر إلى ما لا يصح قبوله يجب الرفض التام ورد الخلط والخبط على متقوله، فمسألة النسب الرفيع في الرسالة أمر ضروري، وأما ما أضافه المؤلف من مال عريض وجاه عريق ورغبات بشرية واعتبارات اجتماعية فليست بشيء، وحتى إيرادها إنما كان لمجرد الحشو والمغالطة إن كان متعمداً، وإن كان جاهلاً خطر العبارات فاللّه يغفر له ولنا.

والنص الإسلامي في هذا الشأن معلوم، ولا مجال لتجاوزه بأي حالٍ من الأحوال، وفيه يحصل التفاوت النسبي، قال تعالى: يا أُخت هارونَ ما كَانَ أَبوكِ امرَءَ سوءٍ وما كَانت أُمكِ بغِياً ، وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم عن وائلة بن الأسقع: « إن اللّه تعالى اصطفى العرب من بني كِنانة، واصطفى من بني كِنانة قريشاً، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. وفي بعض الروايات « اختار » بدلاً عن « اصطفى »، وفيها زيادة: « ...فأنا خيار من خيارٍ من خيار » .

وإذا كانت الخيرية في عصور الإسلام وشمول الدين تعني العمل الصالح والقيام بالمأمورات واجتناب المنهيات؛ فإن الخيرية في عصور الجاهلية تعني الحفظ والسلامة من السفاح ونكاح الجاهلية، وعلى إخواننا المثقفين ثقافة العصر الحديث أن يتناولوا هذه القضايا من داخل النص الإسلامي ويتريثوا كثيراً كثيراً من الاندفاع والاختراع الإعلامي، الضارب بكلكله على المدرسة الفكرية المعاصرة.

وليس في هذا طبقية ولا عصبية ولا عنصرية، ولا انحراف عن الصراط المستقيم، وخاصة في شأن نسب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وطهارة أصله وبركة

فرعه، وما عبر عنه المؤلف بقوله: « والمعتلون من البشر هم الطبقيـون والمتعصـبون والعنصريون وهم المنحرفون عن الصراط المستقيم، فقد تعالوا على من يشترك معهـم في الأصل الواحد والتكوين الواحد، واتخذوا لهم نسباً يميزهم على غيرهم، ويشتركون جميعاً في نبذهم للأخوة والمساواة، وفي تمسكهم بحصانة اجتماعية وفواصهم تعزل بقية الناس عنهم...إلخ » ؛ فهذا كله قول جزاف من وجهة نظر الإسلام، حيث لم يـأت أحد فيتخذ له نسباً في الإسلام يميزه عن غيره، وإنما هي سلاسل عائلات وفروع عن أصول، فأصول عريقة في الأحسـاب والأنسـاب، وأصـول مجهولـة الأحسـاب والأنساب، وهذا علم خاص من فروع التاريخ الإنساني كله، وكان الرجل يـدخل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فيسأله عن نسبه وقبيلته وأهله فيـ له مـ له الذي يليق به. وانظر « رسالة في فضل آل البيت » لابن تيمية.

ولا فخر بالأنساب على الناس إذا عرف الجميع شرف الإسلام الجامع أشـتات البشرية كلها تحت فكر عالمي واحد، ولكن عندما لا يعرف الناس ضوابط الإسـلام في علاقا م الاجتماعية يظهر الانحراف، كالتفاخر بالأنساب والاعتداد بالأحسـاب، وهو من علامات الساعة، ويقابله استعداء الآخرين على ذوي الأنساب وتجاوز الحد في الحط من مقدارهم، وهي في كلا الحالتين عقدة مركبة قد تبلغ بالبعض إلى هـدم بناء أساس النسب النبوي ذاته، وإدخال آخرين إلى دوحة النسب النبوي كذباً وزوراً و تاناً وسياسة.

والخير والقول الفصل في الإسلام ذاته: معرفةُ الجميع حقـوق بعضـهم الـبعض وقواسم العلاقات المشتركة في الشريعة، والعبارات التي حشدها المؤلف رؤية طبقيـة متأثرة بالفكر الشيوعي الماركسي ولو لم يكن منتميا له، وحقد اجتماعي قاصر عـن معرفة الحِكمة الإلهية في طهارة الأنساب، ووضع للاسـتدلالات القرآنيـة في غـير موضعها من المعاني.. للأسف.

وحتى مسألة الكفاءة الزوجية فقد أنزلها المؤلف إلى سوق الرؤية الاستشراقية التي أشكلت قبله على سرجنت وانجرامس ومن لف لفهما، وخاض فيها البر والفـاجر، والعالم والتاجر، وصارت عقدة المتأخرين.. وسمسرة المتاجرين.. ومادة المتناحرين..

ولا جديد في المسألة، بل يلزم العود إلى مذاهب الحق المتداولة بين أهل الإسـلام ففيها الغنية والكفاية، وما زاد عن ذلك فاستعداء واستعلاء من كافة الأطراف، واللّه يغفر للجميع، وما وسع السلف يسع الخلف إن كان الأمر للّه ورسوله، وإن كانـت القضية إثارة ضغائن وفتن وتشف و ـور -وهذا هو الملاحظ- فالأمر عندنا لا يتجاوز المرحلة، فلكل مرحلة رجالها وظروفها وأفكارها.

الخبط والخلط المقصود

تحدث المؤلف في الصفحات ٣٤-٤٨ حول مسألة الطبقية والعنصرية والاصطفاء، وأطال النفَس في سرد القضايا ومشا ات الأحوال على غرار من سبقه من مدرسـة التشفي وإثارة النعرات ومواقف المنازعة، ولم يأت بجديد ما عدا أنه قـال: « وهـم -أي: أهل البيت- في نظرنا واعتقادنا أبعد ما يكونون عن العنصرية والتعصب، لا في عقيد م الإسلامية ولا في سلوكهم » ، وهذه حقيقة لابد من الوقوف عنـدها، وإن كانت جاءت عارضة في النص السردي المتلاحق.

فأهل البيت يرغبون في عدم إثارة هذه القضايا، ولا يميلون لاسـتغلال أنسـا م وأحسا م للحط من الآخرين، بقدر ما كانوا يعتبرون النسب ابتلاءً في نعمةٍ ونعمةً في ابتلاء، بل وحتى مسألة الحقوق التي يتكلم عنها الكثير لا يلقون ا بالاً، ويـرون أن حق الإسلام في سلامة أهله أعظم وأهم، وقد فعل هذا كثير من أئمتهم.

ولكن مشكلة العصر وما سبقه من إثارة هذه المسائل أ ا لا تتحدث بلسان «آل البيت العقلاء»، ولا يقف العقلاء الآخرون عند حد نصحهم وتوجيههم إذا أخطؤوا أو تأثروا بسلبيات المراحل، بل تصبح القضية كما نرى ونسمع ونقرأ ونتحدث «استعداءً واستعلاءً» من كلا الأطراف، وهذا أسلوب جاهلي لا إسلامي ولو كان قائله وكاتبه مسلماً.

والخلط هنا والخبط أن يربط مؤلف في مثل هذه القضية بين الفكر الهندوسي والعرف القبلي الجاهلي والفكر الشعوبي والعصبيات القومية العربية والعنصرية العرقية حتى يصل إلى اليهودية والآرية، ويعالج ما كتبه الجفري والحداد من هذا المنظور الغريب، واقرأ ما يقول: « شكلت أفكار الجفري والحداد ما يمكن أن نطلق عليه بالعنصرية الببغاوية لأ ما ردداً كما تردد الببغاء أفكار وتخريجات العنصريتين اليهودية والآرية وذلك في خضم الصراع الفكري «الإرشادي والعلوي» في إندونيسيا والذي قد انتهى الآن والحمد لله، ونستعرض من النظرية الببغاوية هنا في إطار النظريات العنصرية الأخرى لأ ا عبرت عن بعض الأفكار ذات الأثر الاجتماعي في حضرموت خلال بعض أدوار الفكر الحضرمي الذي نحن بصدد دراستها في هذا الكتاب وسأسميها العنصرية الاستعلائية » [1] .

وكأني بالصراع الإرشادي العلوي قد عاد من جديد، وما هذا التناول إلا امتداد طبيعي وطبقي له وإنما بصورة أكثر تحدٍ وتعدٍ في سرد المسائل وتعسف الاستدلالات ولي العبارات، وخاصة أن للمراحل المتلاحقة بعد الصراع في إندونيسيا إنماء غربي وشرقي وتوليفي أثرى مكتبة الصراع ومهد كثيراً لتمتينها، وفيها بذل المستشرقون وحملة الأقلام المأسورة والمأجورة جهوداً مضنية تشابه جهود المستكشفين والمخترعين

(١) المصدر السابق ص٣٧.

ليحرجوا أنفسهم في قضية التراتب الاجتماعي، ولن يوصل كل هذا إلى شيء يستفاد منه في علاقة الأمة، بقدر ما يستثمر هذا الصراع عدو الجميع (الكافر) الذي يحـارب الشرائح الاجتماعية عربية وأعجمية وإرشادية وعلوية وسـلفية وصـوفية وحزبيـة وغيرها.

وما هذه المؤلفات الغريبة في هذه المرحلة الحرجة إلا إكمالٌ لمشاريع الاسـتثمار الفكرية والاجتماعية بعد نجاح مشاريع الاستثمار السياسي والاقتصادي.

إن النظرية الببغاوية إذا تأملناها من خلال علاقة الإسلام بالكفر هـي تقليـدنا للدراسات الاستشراقية ذات الصلة بهذه المتناقضات وراعيتـها الأساسـية في هـذه المرحلة، وإن (العنصرية الاستعلائية أو الاستعدائية) -إذا شئت أن تسميها- هـي أن يتفرغ كاتب في مثل هذا الدور الهام من عصر الوحدة المباركة في يمن الخير والبركة، العصر الذي جمع الأشتات ووحد بين البلاد وفتح لمدرسة حضرموت بالـذات كـي تستعيد دورها البناء في معالجة أخطاء الماضي، وتجاوز تأثيرات الاستعمار والاستهتار، ومشاركة أبنائها جميعاً خدمة الإسلام والوطن -بفضل يقظة وحنكة رمزها الوحدوي الذي لم تعرف اليمن رجلاً حكيماً خلال مراحلها العصيبة مثله الفريق علي عبد اللّه صالح- إن هذه العنصرية هي أن يتفرغ كاتب لإثارة مثل هذه الفتن وتنبيه الغـافلين وتغرير الجاهلين بما يدور في عقول وقلوب «المخضرمين فكراً ومنهجاً» عـن صـراع مات ودفَنه الزمان، وذهبت به الأيام والليالي في خبر كان.

ماذا تستفيد مرحلتنا المعاصرة من مفاهيم المؤلف وما يشبهها في الجانب الآخر من تجاوزات الجفري والحداد كما سماها؟ وماذا يعود على الواقع المحبط الذي نأمـل أن نتعاون فيه لسد ثغرات المراحل ومعالجة انتكاسات الماضي فنعيد لحمة المجتمع الـذي فرقه الاستعمار وألهب واقعه الاستهتار وفتح له مجال الحركة عهد الاستثمار؟ أليس في هذه الإثارة إعادة ونبش لجراح الماضي وقد ذهبت ؟

ومسؤولياتنا الثقافية والاجتماعية والدينية تدعونا إلى ردم الحفر وإصـلاح ذات البين ﴿لا خير في كثيرٍ مِن نجْواهم إلاّ من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ومن يفْعلْ ذلِك ابتغاءَ مرضاةِ اللّه فسوف يؤتيهِ أجراً عظِيماً﴾.

إن الأجر العظيم لا يكمن في شطح الأقلام واستعراض مـا سمـاه بالنظريـات البغاوية أو العنصرية الاستعلائية، وإنما الأجر العظيم في جمع الكلمة وحسن المحـاورة وتطبيق مبادئ الوحدة المباركة أرضاً وفكراً وحياةً، فالجميع في واقع الحياة مواطنون، وللجميع حق المواطنة.

وإذا كان الاستعلاء والاستعداء موجوداً في الإدارة والسياسة والاقتصاد والتربيـة والتعليم -وكل هذا يحتاج إلى رجال مصلحين وأبطال موفقين- فإن الصراع الطبقـي والاعتقادي ومدارسه الفكرية المدججة اليوم وقبل اليوم بالمال والإعـلام يحتـاج إلى علماء وكتاب ومثقفين أكثر قدرة على فهم معـاني الوطنيـة والمواطنـة، وعقـلاء ومفكرين أكثر جمعاً ووحدة للأمة من إعادة تفريقها وتمزيقها.

ويحق لمدرسة حضرموت وأتباعها أن يطالبوا الجهـات المعنيـة بـإخراس هـذه الأصوات وكسر هذه الأقلام التي ترغب في إعـادة الأمـة إلى مراحـل الانفصـال والتجزئة وإثارة نعرات العرق والقبلية وعصبية الجاهلية.

وإذ لم تجد مدرسة حضرموت آذانا صاغية لهذا الأمر فإننـا نعلنـها صـريحة أن (الاستعداء والاستعلاء) قد صارا مبدأ المستثمرين لمبادئ الوحدة والسـلام في يمننـا المبارك، فالبعض من دعاة العنصرية والقبلية يحاربون الوحـدة بالثـأرات والنعـرات القبلية، وبعضهم بالأقلام والإعلام لإعادة القضايا الطبقية.

وليت المؤلف فهم المعنى الذي أراده من قوله في مقدمة كتابه: « وفي عصر الوحدة اليمنية الحديثة تداخل الشعب اليمني شماله وجنوبه، وشهدت حضرموت تدفقاً بشرياً

من مختلف محافظات الجمهورية اليمنية، مما يعكس الانـدماج الفكـري والسياسـي والاجتماعي في اليمن الموحدة، فيما إذا ما ترك لهذا الاندماج أن يأخذ طريقه الطبيعي الهادئ دون أن يعكر صفوه أحد » [1] .

ولا زالت أمامنا وقفات أخرى مع الكتاب والكاتـب، لا علـى سـبيل الـرد والانتصاف للآباء والسلالة، وإنما وقفات أكثر مسؤولية لنتحول معاً إلى خدمة الواقع الاجتماعي، فنخرجه من غياهب الظلم والعنصرية القبلية والتفاخر إلى عهـد العلـم والإسلام الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وبحسن الاقتداء بالمتبوع الأعظم صلى اللّـه عليه وآله وسلم.

---

(١) المصدر السابق ص٢٠.

الفهرس